جعفر الطيار عليه السلام
فتى النقاء والعفاف والجهاد

ويليه :

فاطمة بنت أسد عليها السلام
مثال الإيمان والتضحية والايثار

المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي
(دام ظله)

بسمه تعالى

جعفر الطيار (عليه السلام)

فتى النقاء والعفاف والجهاد[١]

بمناسبة يوم الفتوة نستذكر جوانب من السيرة العطرة لأحد عظماء الفتوة في الإسلام قلّما يذكر في المجالس؛ لنستلهم منه دروس العفاف والاستقامة والجهاد في سبيل الله تعالى ونصرة قادة الإسلام، ولندخل السرور على قلب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير

(١) تحقيق كتبه سماحة المرجع الديني الشيخ محمد اليعقوبي بمناسبة انطلاق يوم الفتوة حيث دعا سماحته في خطبتي عيد الفطر ١٤٤٠ هـ الموافق ٢٠١٩/٦/٥ إلى تعيين يومٍ للفتوة واختار له الخامس عشر من شوّال يوم نادى وحي السماء: (لا فتى إلا عليّ) وقد لخّص سماحته هذا البحث بحديث مع جمع من الشباب الفاعلين يوم ١١/شوال/١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٦/١٥ وفي مجلس بحثه الشريف يوم ٤/ ذ. ق./١٤٤٠ الموافق ٢٠١٩/٧/٨.

المؤمنين وفاطمة الزهراء (صلوات الله عليهما) لحبّهم إياه وبقدر حزنهم عليه.

إنه جعفر بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم و أمه فاطمة بنت أسد بن هاشم فهو وإخوته أول من اجتمعت لهم ولادة هاشم من جهة الأم والأب، وكان (جعفر أكبر من علي عليه السلام بعشر سنين وكان عقيل - والد سفير الإمام الحسين مسلم - أكبر من جعفر بعشر سنين وكان طالب أكبر من عقيل بعشر سنين)[١].

وروى البلاذري بسنده عن الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) رواية تذكر فروقاً في العمر بينهم أقل من ذلك[٢]، ولم تذكر بعضها ولداً باسم طالب ولا ذكر له

(١) مقاتل الطالبيين، لأبي الفرج الأصفهاني: ٣، الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر المطبوع بهامش الإصابة: ٢١٠/١.

(٢) أنساب الأشراف، أحمد بن يحيى البلاذري (ت٢٧٩ هـ): ٤٠.

في التأريخ، وربما توهّمه بعضهم من جهة كنية أبي طالب.

نشأته الطاهرة

ولد ونشأ في بيت طهر وعفاف و إيمان وتوحيد قبل الإسلام وهو بيت أبي طالب سيد قريش وحامي رسول الله (صلى الله عليه وآله) وكافله وناصره، وفاطمة بنت أسد المضحّية المجاهدة[1]، لذلك عفّت نفسه منذ صباه عما كان يمارسه أهل الجاهلية من فواحش وعبادة للأوثان وهي حالة نادرة في ذلك المجتمع الجاهلي الغارق في الفسق والفجور.

وقد أشاد النبي (صلى الله عليه وآله) بهذه الفضيلة لجعفر بعد

(١) سنلحق بالكتاب كلمة ألقاها سماحة المرجع اليعقوبي سابقاً عن فاطمة بنت أسد ونُشرت في موسوعة خطاب المرحلة: ٥٦/٢-٧٢.

ذلك وأراد إشهارها بين المسلمين ليعرفوا فضله وسمو بيته الطاهر حتى لا ينافسهم من لا يدانيهم في هذه المرتبة، فقد روي عن أبي جعفر الباقر (عليه السلام) (قال: أوحى الله تعالى إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) إني شكرت لجعفر بن أبي طالب أربع خصال، فدعاه النبي (صلى الله عليه وآله) فأخبره، فقال: لولا أن الله تبارك وتعالى أخبرك ما أخبرتُك، ما شربت خمراً قط، لأني علمت أني إن شربتها زال عقلي، وما كذبت قط، لأن الكذب ينقص المروة، وما زنيت قط لأني خفت أني إذا عملت عُمل بي، وما عبدت صنماً قط لأني علمت أنه لا يضر ولا ينفع، قال: فضرب النبي (صلى الله عليه وآله) على عاتقه وقال: حق لله تعالى أن يجعل لك جناحين تطير بهما مع الملائكة

في الجنة)[١].

فالخصال الحميدة الراسخة في قلب الإنسان ونفسه يحبّها الله تعالى ويشكرها لعبده ويجازيه عليها.

سبقه الى الاسلام

ولذا كان من الطبيعي أن يسارع إلى الإيمان بالنبي (صلى الله عليه وآله) حينما بعث بالنبوة لم يسبقه إلا علي و خديجة صلوات الله عليهما وأبو طالب الذي كان يخفي إسلامه، وكان ذلك في الأيام الأولى من دعوته السرية التي استمرت ثلاث سنوات على ما روي قبل الصدع بها، وكان جعفر يومئذ في العشرين من عمره، روى في البحار عن علي بن إبراهيم صاحب التفسير عن بدء بعث النبي (صلى الله عليه وآله) إلى أن قال: (فلما أتى لذلك – أي

(١) علل الشرائع: ٥٥٨/٢.

البعثة والتحاق علي وخديجة – أيام دخل أبو طالب إلى منزل رسول الله (صلى الله عليه وآله) ومعه جعفر، فنظر إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلي بجنبه يصليان، فقال لجعفر: يا جعفر صِلْ جناح ابن عمك[1]، فوقف جعفر بن أبي طالب من الجانب الآخر)[2].

ورواه الشيخ الصدوق في الأمالي بسنده عن الإمام الصادق (عليه السلام) وفيه (فلما أحسَّه – أي التحاق جعفر

(١) وهي تعني أن يقف إلى يسار رسول الله (صلى الله عليه وآله) ليكمل وقوف أخيه علي إلى يمينه، أو تعني نصرته وتقويته كما في قول أمير المؤمنين (عليه السلام): (صِل عشيرتك فإنهم جناحك الذي به تطير) (نهج البلاغة:٣/٥٧).

(٢) بحار الأنوار: ١٨/١٨٤، ح١٤. ورواه من العامة في كنز العمال :١٣/١٤٦ح٣٦٩١٧ وفيه (فلما قضى النبي صلاته التفت الى جعفر فقال: اما إن الله قد وصلك بجناحين تطير بهما في الجنة كما وصلت جناح ابن عمك).

به – تقدمهما وانصرف أبو طالب مسروراً وهو يقول:

إن علياً وجعفراً ثقتي

عند ملم الزمان والكربِ

والله لا أخذل النبي ولا

يخذله من بنيَّ ذو حسبِ

لا تخذلا وانصرا ابن عمكما

أخي لأمي من بينهم وأبي

قال: فكانت أول جماعة جمعت ذلك اليوم)[١].

فليس صحيحاً ما ذكره ابن هشام في سيرته[٢] وابن حجر في الإصابة عن ابن إسحاق أنه ((أسلم بعد

(١) الأمالي للشيخ الصدوق: ٣٠٤ وأورده المجلسي في بحار الأنوار، وقال: ((روى السيد في الطرائف عن أبي هلال العسكري من كتاب الأوائل مثله)) (بحار الأنوار: ٦٨/٣٥، ح٢ عن الطرائف: ٨٧).

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٣٣/١.

خمسة وعشرين رجلاً وقيل بعد واحد وثلاثين))[1] وذكر ابن هشام أسماءهم.

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني (ت ٨٥٢ هـ): ٢٣٧/١.

هجرته إلى الحبشة وإسلام ملكها على يديه

خرج على رأس المسلمين الأوائل من مكة في رحلة محفوفة بالمخاطر والمشقة مهاجرين عبر البحر الأحمر إلى الحبشة (اثيوبيا اليوم) ولم تذكر المصادر كيفية خروجهم وقريش المستكبرة العنيدة تتربص بأصحاب النبي (صلى الله عليه وآله) وتلاحقهم بالتعذيب والتنكيل ليرجعوا عن دينه حتى استشهد والدا عمار بن ياسر تحت التعذيب ولا تسمح قريش بخروج هذا الجمع من ابنائها عن سلطتها ويخشون من افسادهم للعلاقة بينهم وبين ملك الحبشة.

وعلى أي حال فربما كان خروجهم بحماية من ابي طالب او خرجوا سراً متخفّين الواحد والاثنين ثم

اجتمعوا في مكان ليعبروا البحر، وكان مع جعفر (عليه السلام) امرأته أسماء بنت عميس الخثعمية.

روى ابن هشام عن ابن إسحاق قال: ((فلما رأى رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) ما يصيب أصحابه من البلاء، وما هو فيه من العافية، لمكانه من الله ومن عمه أبي طالب، وأنه لا يقدر على أن يمنعهم مما هم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة، فإن بها ملكاً لا يُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه. فخرج عند ذلك المسلمون من أصحاب رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) إلى أرض الحبشة، مخافة الفتنة،

وفراراً إلى الله بدينهم، فكانت أول هجرة كانت في الإسلام))[١].

وقال: ((فلما رأت قريش أن أصحاب رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) قد آمنوا واطمأنوا بأرض الحبشة، وأنهم قد أصابوا بها داراً وقراراً، ائتمروا بينهم أن يبعثوا فيهم منهم رجلين من قريش جلدين إلى النجاشي، فيردهم عليهم، ليفتنوهم في دينهم، ويخرجوهم من دارهم التي اطمأنوا بها وأمنوا فيها، فبعثوا عبد الله بن أبي ربيعة، وعمرو بن العاص بن وائل، وجمعوا لهما هدايا للنجاشي ولبطارقته، ثم بعثوها إليه فيهم))[٢].

---

(١) السيرة النبوية لابن هشام: ٢٨٠/١.

(٢) المصدر السابق: ٢٨٨/١.

ونفّذ الرجلان ما أرسلا به وطلبا من النجاشي رد المهاجرين إلى بلدهم وتسليمهم إلى قريش، وروت لنا أم المؤمنين أم سلمة ما جرت من أحداث وكانت مع زوجها أبي سلمة في المهاجرين، وكان المتحدث باسم المهاجرين والمبيّن للدين الجديد جعفر بن أبي طالب (عليه السلام)، قالت أم سلمة: (فأرسل النجاشيّ إلى أصحاب رسول الله (صلى الله عليه - وآله - وسلم) فدعاهم، فلما جاءهم رسوله اجتمعوا، ثم قال بعضهم لبعض: ما تقولون للرجل إذا جئتموه؟

قالوا: نقول والله ما علمنا، وما أمرنا به نبينا صلى الله عليه وسلم كائناً في ذلك ما هو كائن. فلما جاؤوا - وقد دعا النجاشي أساقفته، فنشروا مصاحفهم حوله - سألهم فقال لهم: ما هذا الدين الذي قد فارقتم فيه قومكم، ولم تدخلوا به في ديني، ولا في دين أحد من

هذه الملل؟ قالت: فكان الذي كلّمه جعفر بن أبي طالب (رضوان الله عليه)، فقال له: أيها الملك، كنا قوماً أهل جاهلية، نعبد الأصنام، ونأكل الميتة، ونأتي الفواحش، ونقطع الأرحام، ونسيء الجوار، ويأكل القوى منا الضعيف، فكنا على ذلك حتى بعث الله إلينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصدقه وأمانته وعفافه، فدعانا إلى الله لنوحده ونعبده، ونخلع ما كنا نعبد نحن وآباؤنا من دونه من الحجارة والأوثان، وأمرنا بصدق الحديث، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، وحسن الجوار، والكف عن المحارم والدماء، ونهانا عن الفواحش، وقول الزور، وأكل مال اليتيم، وقذف المحصنات، وأمرنا أن نعبد الله وحده ولا نشرك به شيئاً، وأمرنا بالصلاة والزكاة والصيام -. قالت -أي أم سلمة-: فعدّد عليه أمور الإسلام – فصدقناه وآمنا به، واتبعناه على ما جاء به من

الله، فعبدنا الله وحده فلم نشرك به شيئاً، وحرّمنا ما حرّم علينا، وأحللنا ما أحل لنا، فعدا علينا قومنا، فعذبونا وفتنونا عن ديننا، ليردّونا إلى عبادة الأوثان من عبادة الله تعالى، وأن نستحل ما كنا نستحل من الخبائث، فلما قهرونا وظلمونا وضيّقوا علينا، وحالوا بيننا وبين ديننا، خرجنا إلى بلادك، واخترناك على من سواك، ورغبنا في جوارك، ورجونا أن إلا نظلم عندك أيها الملك.

قالت: فقال له النجاشي: هل معك مما جاء به عن الله من شيء؟ قالت: فقال له جعفر: نعم، فقال له النجاشي: فاقرأه عليّ، قالت: فقرأ عليه صدراً من ﴿كهيعص﴾ - أي سورة مريم-. قالت: فبكى والله النجاشي حتى أخضلّت لحيته، وبكت أساقفته حتى أخضلوا مصاحفهم، حين سمعوا ما تلا عليهم، ثم قال (لهم) النجاشي: إن هذا والذي جاء به عيسى ليخرج من

مشكاة واحدة، انطلقا، فلا والله لا أسلمهم إليكما، ولا يكادون)[١].

ومن هذه الكلمات نعلم أن جعفراً قد أُشرب بالإيمان في قلبه ووعى أحكام الإسلام وكان بعضها لم يشرَّع بعدُ -كالصوم الذي وجب في المدينة- فمن المحتمل أن يكون جعفر من خاصة النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الذين كانوا يعملون بتمام الشريعة قبل تكليف عامة الناس بها، أو أنه (عليه السلام) أدرك هذه الأحكام بفطرته السليمة ونقاوته وإن لم ينزل بها تشريع، او انها من الحنيفية التي كان يتعبد بها على دين إبراهيم (عليه السلام) قبل ان يبعث النبي (صلى الله عليه وآله) بالإسلام.

وبذلك استحق أن يكون سفيراً للنبي (صلى الله عليه وآله) وداعياً

---

(١) نفس المصدر: ٢٩٠/١.

إلى الإسلام، وقد أجرى الله تعالى الخير على يديه حيث أسلم النجاشي ملك الحبشة ببركة جهوده[١].

بقي في الحبشة سنين طويلة قد تصل إلى خمس عشرة سنة ولم يحضر وفاة والده أبي طالب سيد البطحاء وناصر رسول الله وحاميه في مكة قبل الهجرة بثلاث سنين بعد محنة الحصار في الشِعب بين الجبال، ولا وفاة أمه فاطمة بنت أسد التي قال فيها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا أبلغه ولدها علي (عليه السلام) بوفاتها: (رحم الله أمك يا علي، أما إنها إن كانت لك أماً فقد كانت لي أماً)[٢] وصلى عليها صلاة لم يصلها على أحد قبلها، وقد توفيت في المدينة بعد الهجرة.

---

(١) الإصابة في تمييز الصحابة: ٢٣٧/١.

(٢) بحار الأنوار للمجلسي: ٣٥٠/٧٨ عن أمالي الصدوق: ١٨٠.

هل حضر جعفر (عليه السلام) زواج أخيه علي (عليه السلام)

ذكرت الروايات من كتب الفريقين ان أسماء بنت عميس زوج جعفر بن ابي طالب حضرت زواج امير المؤمنين وفاطمة (صلوات الله عليهما) وهي التي هيأت فاطمة وزفّتها الى زوجها بحضور رسول الله (صلى الله عليه وآله) وان النبي (صلى الله عليه وآله) امر النساء بالخروج فخرجن الا أسماء فسالها عن السبب قالت ((فداك ابي وامي ان الفتاة اذا زُفّت الى زوجها تحتاج الى امرأة تتعهدها وتقوم بحوائجها فاقمت هاهنا لأقضي حوائج فاطمة (عليها السلام) ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) (يا أسماء قضى الله لك حوائج الدنيا والاخرة)[1]، وفي رواية أخرى ان النبي

(١) كشف الغمة: ٣٦٣/١ فصل في تزويج علي وفاطمة(عليها السلام).

(صلى الله عليه وآله) استثناها من الامر بالانصراف وقال لها (كما انت على رسلك من انت؟ قالت: انا التي احرس ابنتك ان الفتاة ليلة يبنى بها لابد لها من امرأة تكون قريبة منها ان عرضت لها حاجة او ارادت شيئا افضت بذلك اليها، قال النبي (صلى الله عليه وآله): فاني اسال الله ان يحرسك من بين يديك ومن خلفك وعن يمينك وعن شمالك من الشيطان الرجيم)[1].

وروت أسماء للنبي (صلى الله عليه وآله) السبب مفصلاً فقالت: ((حضرت وفاة خديجة (عليها السلام) فبكت، فقلت: أتبكين وأنت سيدة نساء العالمين، وأنت زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) مبشرة على لسانه بالجنة، فقالت: ما لهذا بكيت، ولكن المرأة ليلة زفافها لا بد لها من امرأة تفضي إليها بسرها،

(١) كفاية الطالب في مناقب امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) الحافظ الكنجي / ٣٠٤

وتستعين بها على حوائجها وفاطمة حديثة عهد بصبي وأخاف أن لا يكون لها من يتولى أمرها حينئذ فقلت:

يا سيدتي لك [علي] عهد الله إن بقيت إلى ذلك الوقت أن أقوم مقامك في هذا الامر فلما كانت تلك الليلة وجاء النبي (صلى الله عليه وآله) أمر النساء فخرجن وبقيت، فلما أراد الخروج رأى سوادي فقال: من أنت؟ فقلت: أسماء بنت عميس، فقال: ألم آمرك أن تخرجي؟ فقلت: بلى يا رسول الله فداك أبي وأمي، وما قصدت خلافك، ولكني أعطيت خديجة عهدا - وحدثته - فبكى، فقال: بالله لهذا وقفت؟ فقلت: نعم والله فدعا لي)[1].

(١) - بحار الأنوار: ج ٤٣ / ١٣٨ عن كشف الغمة: ٣٦٥/١

قال ابن شهر آشوب في المناقب ((وباتت عندها أسماء بنت عميس اسبوعاً بوصية خديجة فدعا لها النبي (صلى الله عليه وآله) في دنياها وآخرتها)).

وهنا يرد اشكال سجله عدد من المؤرخين والكتاب في سيرة اهل البيت (عليهم السلام).

حاصله: ان زواج امير المؤمنين (عليه السلام) كان بعد معركة بدر مباشرة والمشهور انه في ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، وكانت أسماء يومئذٍ في الحبشة مع زوجها جعفر وعادا الى المدينة في السنة السابعة فكيف تصح هذه الرواية، ومن البعيد ان تكون تركت جعفر هناك وعادت الى المدينة لانها بقيت معه هناك وولدت له أولاد هناك وعادت معه، واذا قبلنا بحضورها زواج امير المؤمنين (عليه السلام) فلابد ان نقبل بحضور جعفر (عليه السلام) أيضاً.

بل صرحت بعض المصادر بوجود جعفر (عليه السلام) في المناسبة كالذي أورده ابن شهر اشوب في المناقب عن ابن مردويه قال ((فمكث علي تسعة وعشرين ليلة ــ أي بعد اجراء الخطوبة والعقد في شوال ــ فقال له جعفر وعقيل: سله ان يدخل عليك أهلك))[1] وان جعفر كان مع علي حمزة وعقيل في موكب الزفاف. وممن أورد الاشكال محمد بن يوسف الكنجي الشافعي ثم قال ((قال محمد بن يوسف هكذا رواه ابن بطة وهو حسن عال، وذكر أسماء بنت عميس في هذا الحديث غير صحيح، لان أسماء هذه امرأة جعفر بن أبي طالب تزوجها بعده أبو بكر فولدت له محمدا، فلما مات أبو بكر تزوجها علي بن أبي طالب (عليه السلام) وإن

(١) – مناقب آل أبي طالب : ٣٥٣/٣ فصل في تزويجهما (صلوات الله عليها)

أسماء التي حضرت في عرس فاطمة (عليها السلام) إنما هي أسماء بنت يزيد ابن السكن الأنصاري، وأسماء بنت عميس كان مع زوجها جعفر بالحبشة، وقدم بها يوم فتح خيبر سنة سبع، وكان زواج فاطمة (عليها السلام) بعد وقعة بدر، بأيام يسيرة فصح بهذا أن أسماء المذكورة في هذا الحديث إنما هي بنت يزيد ولها أحاديث عن النبي (صلى الله عليه وآله))[1].

لكن السيد محسن الأمين (قدس سره) ناقش في هذا التوجيه وقال ((واشتباه أسماء بنت عميس بأسماء بنت يزيد ممكن بان يكون الراوي ذكر أسماء فتبادر إلى الأذهان بنت عميس لشهرتها الا ان آخر الحديث ينافي ذلك لان فيه انها حضرت وفاة خديجة وخديجة

(١) بحار الانوار: ٤٣/ ١٣٤ ح ٣٢ عن كفاية الطالب : ٣٠٧ باب ٨٢ ملخصاً

توفيت بمكة قبل الهجرة وأسماء بنت يزيد أنصارية من أهل المدينة ولم تكن بمكة حتى تحضر وفاة خديجة مع أن هذا ان رفع الاشكال في أسماء لم يرفعه في جعفر الذي كرر مرتين ذكره واحتمل في كشف الغمة أن تكون التي شهدت الزفاف سلمى بنت عميس أخت أسماء وزوجة حمزة وأن يكون بعض الرواة اشتبه بأسماء لشهرتها[١]، وهذا أيضا ان رفع الاشكال في أسماء لا يرفعه في جعفر الا ان يقال لما حصل الاشتباه في أسماء حصل الاشتباه في جعفر فجعل موضع حمزة والله أعلم)) [٢].

أقول: يمكن ان نفسَّر ورود ذكر أسماء بنت عميس وزوجها جعفر في الروايات بما ذكروه من الاشتباه على

(١) وجعل بعضهم ما يؤيد ذلك شهود سلمى وفاة خديجة (عليها السلام)

(٢) اعيان الشيعة: ٣٨٠/١

ان مناقشته السيد الأمين يمكن ردّها اذا استظهرنا كون هجرة جعفر وأسماء الى الحبشة كانت قبل وفاة خديجة(عليها السلام) .

اما اذا صحّت وصية خديجة لأسماء فنحتمل ان النبي (صلى الله عليه وآله) ارسل الى جعفر وأسماء في الحبشة ان يأتوا على نحو السرعة ليحضروا زواج علي وفاطمة وتُنفّذ وصية خديجة (عليها السلام) لان النبي (صلى الله عليه وآله) كان يحب كل ما تحبه خديجة ويحرص على تنفيذ كل ما اوصت به كما تشهد به الروايات وهذه الوصية فيها إدخال للسرور على قلب خديجة وهي في اعلى عليين فما كان ليفوّتها النبي (صلى الله عليه وآله) فأمر جعفر ان يأتي بأسماء الى المدينة ولو بمقدار حضور هذه المناسبة ولا مانع من ذلك فالطريق من الحبشة إلى المدينة عبر البحر لم يكن فيه مشقة وقد فعل المسلمون المهاجرون

الى الحبشة ما هو اخطر من ذلك حيث وصلهم خبر ان قريش قد آمنت بالنبي (صلى الله عليه وآله) واستقرت الأوضاع في مكة فعاد جمع منهم إلى مكة (ومنهم أبو سلمة وزوجته أم سلمة وابنهما) فلما وصولوا قريباً من مكة عرفوا كذب الخبر فمنهم من رجع الى حبشة ومنهم من دخل مكة وبقى فيها الى ان هاجر مع المسلمين الى المدينة (ومنهم أبو سلمة الذي استشهد بعد معركة أحد من جرح أصابه فيها) فعودة جعفر وامرأته إلى المدينة وارد جداً لكنه لم يحظ بضجة إعلامية لأن مهمته لم تنته بعد كما حصل له عند رجوعه النهائي في السنة السابعة من الهجرة.

عودته إلى المدينة وسرور النبي البالغ به

ورجع إلى المدينة في أوائل السنة السابعة من الهجرة واختط له النبي (صلى الله عليه وآله) داراً إلى جنب المسجد[1]، وكان قدومه متزامناً مع انتصار النبي (صلى الله عليه وآله) على اليهود في خيبر وفتح حصونهم على يدي أخيه أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (عليه السلام)، وفي رواية حذيفة بن اليمان قال: ((قدم جعفر رحمه الله والنبي (صلى الله عليه وآله) بأرض خيبر فأتاه بالفرع من الغالية والقطيفة، فقال النبي (صلى الله عليه وآله): (لأدفعن هذه القطيفة إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبّه الله ورسوله)[2] فدفعها

---

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب، لابن عبد البر يوسف بن عبد الله القرطبي (ت ٤٦٣هـ): ٢١٠/١.

(٢) بحار الأنوار: ١٩/٢١ عن المجالس والأخبار: ٣٦ وفيه عن القاموس ((فرع كل شيء أعلاه، ومن القوم: شريفهم، والمال الطائل المعدّ))

إلى علي (عليه السلام) .. إلى آخر الرواية)).

وفرح النبي (صلى الله عليه وآله) بقدومه أشد الفرح فقد روى زرارة عن الإمام الباقر (عليه السلام) قال: (ولما افتتح رسول الله (صلى الله عليه وآله) خيبر أتاه البشير بقدوم جعفر بن أبي طالب وأصحابه من الحبشة إلى المدينة، فقال (صلى الله عليه وآله): ما أدري بأيهما أنا أسَرّ، بفتح خيبر أم بقدوم جعفر)[1].

وعن سفيان الثوري، عن أبي الزبير، عن جابر قال: (لما قدم جعفر بن أبي طالب من أرض الحبشة تلقاه رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فلما نظر جعفر إلى رسول الله

وفي بقية الرواية أن علياً (عليه السلام) لما رجع إلى المدينة أمر صائغاً ففصّل القطيفة سلكاً سلكاً فباع الذهب وكان ألف مثقال وفرّقه مباشرة على فقراء المهاجرين والأنصار ولم يبقِ له شيئاً.

(١) التهذيب للشيخ الطوسي: ١٨٦/٣.

(صلى الله عليه وآله) حجل[١]، فقبل رسول الله بين عينيه).

وروى زرارة، عن أبي جعفر الباقر عليه السلام (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لما استقبل جعفراً التزمه ثم قبل بين عينيه، قال: وكان رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعث قبل أن يسير إلى خيبر عمرو بن أمية الضمري إلى النجاشي عظيم الحبشة ودعاه إلى الإسلام فأسلم، وكان أمر عمرواً أن يتقدم بجعفر وأصحابه، فجهز النجاشي جعفراً وأصحابه بجهاز حسن، وأمر لهم بكسوة وحملهم في سفينتين)[٢].

---

(١) الحجل أن يمشي بخطوات متقاربة كالمقيد أدباً وهيبة لرسول الله (صلى الله عليه وآله)، وقيل في معناه أن يرفع رجلاً ويقفز على الأخرى من الفرح، وقد يكون بالرجلين إلا أنه قفْزٌ، ورد التصريح بالمعنى الاول في رواية كنز العمال قال (حجل اعظاماً منه لرسول الله)(كنز العمال :١٤٥/١٣، ح٣٦٩٠٨).

(٢) بحار الأنوار: ٢٣/٢١ عن إعلام الورى بأعلام الهدى: ١٠٧-١٠٩.

وروى الشيخ الصدوق في الخصال والعيون بإسناده عن أبي محمد العسكري، عن آبائه، عن علي قال: (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) لمّا جاءه جعفر بن أبي طالب من الحبشة قام إليه واستقبله اثنتي عشرة خطوة، وقبل ما بين عينيه وبكى، وقال: لا أدري بأيهما أنا أشد سروراً؛ بقدومك يا جعفر أم بفتح الله على أخيك خيبر؟ وبكى فرحاً برؤيته)[1].

(١) بحار الأنوار: ٢٤/٢١ عن الخصال: ٨٢/٢، عيون أخبار الرضا: ١٤٠.

صلاة جعفر: هدية أهل الكمالات المعنوية

وقدّم له النبي (صلى الله عليه وآله) هدية معنوية جليلة بهذه المناسبة وهي الصلاة المعروفة بصلاة جعفر الطّيار التي يصفها العرفاء بأنها الإكسير الأعظم لنيل الكمالات المعنوية، وهي من مختصات أهل الولاية التي حباهم الله تعالى بها، فكانت صدقة جارية لجعفر يأتيه مثل ثواب من أقامها إلى يوم القيامة فجزاه الله خير جزاء المحسنين وأحسن مثواه.

وقد وردت عشرات الأحاديث في فضلها وثواب أدائها وكيفيتها، روى الكليني بسند صحيح عن أبي بصير عن الإمام الصادق قال: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لجعفر: يا جعفر ألا أمنحك ألا أعطيك ألا أحبوك فقال له جعفر: بلى يا رسول الله، قال: فظن الناس أنه يعطيه

ذهباً أو فضة، فتشرف الناس لذلك، فقال له: إني أعطيك شيئاً إن أنت صنعته في كل يوم كان خيراً لك من الدنيا وما فيها وإن صنعته بين يومين غفر لك ما بينهما أو كل جمعة أو كل شهر أو كل سنة غفر لك ما بينهما، تصلي أربع ركعات تبتدئ فتقرأ وتقول إذا فرغت: سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر، تقول ذلك خمس عشرة مرة بعد القراءة فإذا ركعت قلته عشر مرات فإذا رفعت رأسك من الركوع قلته عشر مرات فإذا سجدت قلته عشر مرات فإذا رفعت رأسك من السجود فقل بين السجدتين عشر مرات فإذا سجدت الثانية فقل عشر مرات فإذا رفعت رأسك من السجدة الثانية قلت عشر مرات وأنت قاعد قبل أن تقوم فذلك خمس وسبعون تسبيحة في كل ركعة ثلاثمائة تسبيحة في أربع ركعات ألف ومائتا تسبيحة و تهليلة

وتكبيرة وتحميدة إن شئت صليتها بالنهار وإن شئت صليتها بالليل)[1].

أقول: وهي أربع ركعات كل اثنتين على حدة بتشهّد وتسليم، ويؤتى بها في أي وقت وأفضل أوقاتها صدر النهار من يوم الجمعة ويستحب أداؤها عند زيارة المعصومين فهي هدية مناسبة لهم سلام الله عليهم أجمعين.

وفي رواية إبراهيم بن عبد الحميد، عن أبي الحسن (عليه السلام) (تقرأ في الأولى إذا زلزلت، وفي الثانية والعاديات، وفي الثالثة إذا جاء نصر الله، وفي الرابعة بقل هو الله أحد. قلت: فما ثوابها؟ قال: لو كان عليه مثل

(١) الكافي: ٤٦٥/٣، ح ١، وسائل الشيعة: ٤٩/٨، أبواب صلاة جعفر، باب ١، ح١.

رمل عالج[١] ذنوباً غفر (الله) له، ثم نظر إليّ فقال: إنما ذلك لك ولأصحابك)[٢].

(١) عالج منطقة رملية شاسعة في جزيرة العرب يضرب المثل لوصف الكثرة، راجع مجمع البحرين: ٣١٩/٢، العلامة فخر الدين بن محمد الطريحي.

(٢) التهذيب: ١٨٧/٣، ح ٤٢٣، وسائل الشيعة: ٥٤/٨، أبواب صلاة جعفر، باب ٢، ح٣.

قيادته الجيش إلى معركة مؤتة وشهادته:

ولم يلبث في المدينة طويلاً حيث أمّره النبي (صلى الله عليه وآله) في جمادى من السنة الثامنة للهجرة على جيش وأرسله إلى قتال الروم في بلاد الشام انتقاماً لقتل رسوله إليهم، وفي رواية أبان بن عثمان عن الصادق (عليه السلام) (أنه استعمل عليهم جعفراً فإن قُتل فزيد - بن حارثة - فإن قتل فعبد الله بن رواحة)[1] وهذا الترتيب في القيادة هو المشهور لدى الشيعة واختلف معهم رواة العامة وأشار ابن أبي الحديد في شرح النهج إلى هذا الاختلاف ومال إلى ما عليه الشيعة، قال في شرح غزاة مؤتة: ((اتفق المحدثون على أن زيد بن حارثة كان هو

(١) بحار الأنوار: ٥٥/٢١، ح ٨ عن إعلام الورى بأعلام الهدى: ١١٠-١١٢، ط. ٢.

الأمير الأول، وأنكر الشيعة ذلك وقالوا: كان جعفر بن أبي طالب هو الأمير الأول فإن قتل فزيد بن حارثة، فإن قتل فعبد الله بن رواحة، ورووا في ذلك روايات، وقد وجدت في الأشعار التي ذكرها محمد بن إسحاق في كتاب المغازي ما يشهد لقولهم))[1].

أقول: سيأتي في القصائد التي قالها الصحابة في رثاء جعفر ما يدل على ما ذهب إليه الشيعة.

وروي عن ابن شهاب الزهري قال: ((لما قدم جعفر بن أبي طالب من بلاد الحبشة بعثه رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى مؤتة واستعمل على الجيش معه زيد بن حارثة وعبد الله بن رواحة فمضى الناس معهم حتى كانوا بنحو البلقاء فلقيهم جموع هرقل من الروم والعرب

(١) شرح نهج البلاغة: ٦٢/١٥.

فانحاز المسلمون إلى قرية يقال لها: مؤتة ليعسكروا فيها فالتقى الناس عندها، واقتتلوا قتالاً شديداً))[1] حتى استشهدوا وكانت الحرب غير متكافئة فالمسلمون ثلاثة آلاف والروم ومن والاهم من القبائل العربية تجاوزا مائة ألف وروي أنهم مائتا ألف وفي الاستيعاب عن ابن عمر انه قال وجدنا ما بين صدر جعفر بن أبي طالب ومنكبيه وما أقبل منه تسعين جراحة ما بين ضربه بالسيف وطعنة بالرمح.

وقد أقدم على الشهادة باطمئنان وتسليم تام لم يرقَ إليه حتى رفيقاه في القيادة وهما من أجلاء الصحابة؛ فقد روى ابن عبد البر بسنده عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: (مُثل لي جعفر وزيد وابن رواحة في خيمة من دُرّ،

(١) بحار الأنوار: ٥١/٢١ عن أمالي ابن الشيخ: ٨٧-٨٨.

كل منهم على سرير، فرأيت زيداً وابن رواحة في أعناقهما صدود ورأيت جعفراً مستقيماً ليس فيه صدود، قال: فسألت أو قيل لي: إنهما حينما غشيهما الموت أعرضا أو كأنهما صدّا بوجوههما وأما جعفر فلم يفعل))[1].

وروى ابن إسحاق وابن هشام في سيرته أن جعفراً أنشد حين نزل إلى المعركة:

يا حبذا الجنة واقترابها طيّبة وباردٌ شرابها[2]

وأنه قاتل قتالاً شديداً، حتى قطعت يده اليمنى فأخذ الراية بيده اليسرى وقاتل إلى أن قطعت اليسرى أيضاً فاعتنق الراية وضمها إلى صدره حتى قُتل، ووجد

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب المطبوع بهامش الإصابة: ٢١٢/١.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام: ٨٣٣/٣.

به نيف وسبعون وقيل نيف وثمانون ما بين طعنة وضربة ورمية[١].

وقد كشف للنبي (صلى الله عليه وآله) عن أرض المعركة وكان ينقل لأصحابه أحداثها، قال جابر: (فلما كان اليوم الذي وقع فيه حربهم صلى النبي (صلى الله عليه وآله) بنا الفجر ثم صعد المنبر فقال: قد التقى إخوانكم مع المشركين للمحاربة، فأقبل يحدثنا بكرّات بعضهم على بعض إلى أن قال: قُتل زيد بن حارثة وسقطت الراية، ثم قال: قد أخذها جعفر بن أبي طالب وتقدم للحرب بها، ثم قال: قد قُطعت يده وقد أخذ الراية بيده الأخرى، ثم قال: قُطعت يده الأخرى وقد أخذ الراية في صدره، ثم قال: قتل جعفر بن أبي طالب وسقطت الراية، ثم أخذها عبد

(١) نقلها السيد الأمين في أعيان الشيعة: ج٤، في ترجمته لجعفر بن أبي طالب.

الله بن رواحة وقد قتل من المشركين كذا وقتل من المسلمين كذا فلان وفلان، إلى أن ذكر جميع من قتل من المسلمين بأسمائهم، ثم قال: قتل عبد الله بن رواحة، وأخذ الراية خالد بن الوليد فانصرف المسلمون، ثم نزل عن المنبر وصار إلى دار جعفر فدعا عبد الله بن جعفر فأقعده في حجره، وجعل يمسح على رأسه، فقالت والدته أسماء بنت عميس: يا رسول الله إنك لتمسح على رأسه كأنه يتيم، قال: قد استشهد جعفر في هذا اليوم، ودمعت عينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وقال: قطعت يداه قبل أن يستشهد وقد أبدله الله من يديه جناحين من زمرد أخضر فهو الآن يطير بهما في الجنة مع الملائكة كيف يشاء)[1].

(١) بحار الأنوار: ٥٣/٢١ عن الخرائج والجرائح لقطب الدين الراوندي: ٨٧-٨٨.

وروى الكليني في الكافي والبرقي في المحاسن بسندهما عن الإمام الصادق عن أبيه (عليهما السلام) قال: (لما كان يوم مؤتة كان جعفر على فرسه فلما التقوا نزل عن فرسه فعرقبها[1] - أي قطع عرقوبها وهو عصب غليظ فوق العقب - بالسيف وكان أول من عرقب في الإسلام)[2].

وروى في المحاسن عن العباس بن موسى بن جعفر قال: (سألت أبي عن المأتم؟ - فقال: إن رسول الله

---

(١) لعل هذا يكشف عن أن جعفراً عرف أن المعركة ستكون الغلبة فيها للروم فلم يشأ أن يغنم الروم تلك الفرس فتستعمل لحرب الله ورسوله فقطع هذا العصب من رجلها لكي لا تصلح للحرب بعدها. والله العالم وقد ورد عن النبي (صلى الله عليه وآله) بنفس السند السابق: (إذا حرنت على أحدكم دابة -يعني أقامت في أرض العدو أو في سبيل الله- فليذبحها ولا يعرقبها).

(٢) الكافي: ٤٩/٥، المحاسن: ٦٣٤/٢.

(صلى الله عليه وآله) لما انتهى إليه قتل جعفر بن أبي طالب دخل على أسماء بنت عميس امرأة جعفر، فقال: أين بني؟ - فدعت بهم وهم ثلاثة، عبد الله، وعون، ومحمد، فمسح رسول الله رؤوسهم، فقالت: إنك تمسح رؤوسهم كأنهم أيتام؟ - فتعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عقلها فقال: يا أسماء ألم تعلمي أن جعفراً (رضي الله عنه) استشهد فبكت فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): لا تبكي فإن جبرئيل (عليه السلام) أخبرني أن له جناحين في الجنة من ياقوت أحمر، فقالت: يا رسول الله (صلى الله عليه وآله) لو جمعت الناس وأخبرتهم بفضل جعفر لا ينسى فضله، فعجب رسول الله (صلى الله عليه وآله) من عقلها، ثم قال رسول الله (صلى الله عليه وآله): ابعثوا إلى أهل جعفر طعاماً، فجرت السنة)[1].

(١) بحار الأنوار: ٥٥/٢١، ح٦، عن المحاسن: ٤٢٠/٢.

وينبغي التنويه هنا الى ان معركة مؤته وملابساتها من مفاصل الكتابة عن السيرة النبوية التي يجب مراجعتها والتحقيق فيها إذ ان تفاصيلها نقلت بواسطة رواة لا يوثق بهم، مثلاً تذكر الروايات ان جيش المسلمين انهزم من المعركة بعد استشهاد القادة وتسلّم خالد ابن الوليد قيادتهم ولما عادوا الى المدينة قاطعهم أهلها حتى افراد عوائلهم لولا ان النبي (صلى الله عليه وآله) دافع عن موقفّهم، بينما تشير ملابسات المعركة الى ان قادة المسلمين دفنوا جثث القادة والشهداء وتمكنوا من إحصاء جراحات جعفر وهذا يعني انهم كانوا موجودين في ساحة المعركة ولم ينهزموا ويتركوا جثث قتلاهم كما هو شأن المنهزم.

فيحتمل ان القائد قسَّم الجيش اكثر من فرقة بإمرة القادة الثلاث وان بعض هذه الفرق انهزمت مع خالد

بعد مقتل قائدها وتركت الفرقة الأخرى بقيادة جعفر تقاتل وحدها علما بانه كان يوجد في الجيش من اقترح عدم خوض المعارك قبل حصول المواجهة لعدم تكافؤا العدد والرجوع الى المدينة.

او ان مؤتة شهدت اكثر من معركة انتصر المسلمون في بعضها او أي احتمال اخر ولعل خيانة حصلت من بعض قطعات الجيش لذا يستغرب بعض المؤرخين من استشهاد جميع القادة وسلامة الجنود الا القليل منهم [١]

(١) وجد دانييل بيترسون ، أستاذ الدراسات الإسلامية بجامعة بريغهام يونغ ، أن نسبة الإصابات بين القادة مرتفعة بشكل مثير للريبة مقارنة بالخسائر التي تكبدها الجنود العاديون. [في كتابه محمد رسول الرب، ٢٠٠٧، ص١٤٢] ويسجل ديفيد باورز [في كتابه: محمد ليس أبا أحد من رجالكم، ٢٠٠٩، ص ٨٠] استاذ دراسات الشرق الأدنى في كورنيل هذا الاستغراب فيما يتعلق بالخسائر الفادحة التي سجلها المؤرخون المسلمون.

فالامر يحتاج الى تحقيق وتحليل وجمع الشواهد والقرائن والله العالم .

ويشكك عدد من المؤرخين المعاصرين بالرقم الكبير للجيش البيزنطي [منهم جون هولدن في كتابه: القوة والسياسة في سوريا القديمة، ٢٠١٠، ص ١٨٨، وفرانسس بيتر ١٩٩٤ في كتابه: محمد و الإسلام الأصيل، ٢٣١، ووف. بول في كتابه: موسوعة الإسلام، ١٩٩٣، ص ٧٥٦].

وبحسب والتر أميل كايجي في كتابه: التوسع الإسلامي والانهيار البيزنطي في شمال إفريقيا، ٢٠١٠، ص ٩٩] وهو أستاذ التاريخ البيزنطي في جامعة شيكاغو، فإن حجم الجيش البيزنطي بأكمله خلال القرن السابع قد يصل إلى ١٠٠٠٠٠ ، وربما حتى نصف هذا العدد. ومنغير المرجح أن يكون عدد القوات البيزنطية في مؤتة اكثر من ١٠٠٠٠، وقاله سابقا في كتاب آخر اله عام ١٩٩٢. يعني أن جيش البيزنطيين الرومان في جميع مملكتهم كان ١٠٠ ألف.(الناشر)

حزن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وأصحابه عليه

روي في الكافي عن أبان، عن أبي بصير، عن أبي عبد الله (عليه السلام) قال: (بينما رسول الله (صلى الله عليه وآله) في المسجد إذ خفض له كل رفيع ورُفع له كل خفيض - أي سُطحت الأرض له (صلى الله عليه وآله) وطويت- حتى نظر إلى جعفر عليه السلام يقاتل الكفار قال: فقتل، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): قُتل جعفر، وأخذه المغص في بطنه)[1].

وروى الشيخ الصدوق عن الإمام الصادق (عليه السلام) قال: (إن النبي (صلى الله عليه وآله) حين جاءته وفاة جعفر بن أبي طالب وزيد بن حارثة كان إذا دخل بيته كثر بكاؤه عليهما جداً، ويقول: كانا يحدّثاني ويؤنساني فذهباً

(١) الكافي: ٣٧٦/٨. الظاهر أن الضمير في (أخذه) للنبي (صلى الله عليه وآله)، حزناً على مقتل جعفر.

جميعاً)[1].

وفي الاستيعاب أيضاً أنه لما أتى النبي (صلى الله عليه وآله) نعي جعفر أتى امرأته أسماء بنت عميس فعزاها في زوجها جعفر ودخلت فاطمة وهي تبكي وتقول وا عمّاه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) على مثل جعفر فلتبك البواكي).

وروي عن عبد الله بن جعفر أنه قال: (أنا أحفظ حين دخل رسول الله (صلى الله عليه وآله) على أمي فنعى لها أبي: فأنظر إليه وهو يمسح على رأسي ورأس أخي وعيناه تهراقان الدموع حتى تقطر لحيته، ثم قال: اللهم إن جعفراً قد قدم إليك إلى أحسن الثواب فأخلفه في ذريته بأحسن ما خلفت أحداً من عبادك في ذريته. ثم قال: يا أسماء ألا أبشرك؟ قالت: بلى بأبي وأمي يا

(١) من لا يحضره الفقيه: ٥٧/١.

رسول الله، قال: إن الله جعل لجعفر جناحين يطير بهما في الجنة. قالت: فأعلم الناس ذلك، فقام رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأخذ بيدي يمسح بيده رأسي حتى رقي إلى المنبر، وأجلسني أمامه على الدرجة السفلى والحزن يُعرف عليه، فقال: إن المرء كثير بأخيه وابن عمه[1]، ألا إن جعفراً قد استشهد، وجعل له جناحان يطير بهما في الجنة، ثم نزل (صلى الله عليه وآله) ودخل بيته، وأدخلني معه، وأمر بطعام يصنع لأجلي، وأرسل إلى أخي فتغدينا عنده غداء طيباً مباركاً، وأقمنا ثلاثة أيام في بيته ندور معه كلما صار في بيت إحدى نسائه ثم رجعنا إلى بيتنا فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أساوم شاة أخٍ لي، فقال: اللهم بارك له في صفقته، قال عبد الله: فما بعت شيئاً ولا

(١) أي عزيز بهما فيعبَّر عن العزة بالكثرة وعن الذلة بالقلة.

اشتريت شيئاً إلا بورك لي فيه)[١].

قال الصادق عليه السلام: (قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لفاطمة: اذهبي فابكي على ابن عمك فإن لم تدعي[٢] بثكل فما قلت فقد صدقت)[٣].

وقد أتم رضوان الله تعالى عليه الأربعين من عمره حين استشهد.

وقال كعب بن مالك قصيدة يرثي جعفراً وشهداء مؤتة حين بلغهم الخبر منها:

---

(١) البحار: ٥٧/٢١. عن إعلام الورى للشيخ الطبرسي: ٦٤-٦٥.

(٢) أي فإن لم تنطقي بالثكل وتقولي وا ثكلاه المعبّر عن الجزع، فكل ما تذكرين من الحزن والألم وتعدّدين من الفضائل فإنك صادقة فيه لأن جعفراً عليه السلام يستحق ذلك؛ وهو دليل على أنه كان مجمعاً للفضائل.

(٣) البحار: ٥٧/٢١. ولعل العبارة (فإن لم تدعي بثكل فيما قلت فقد صدقت).

صـــلى الإلـــه علـيهمُ من فتـيـة

وسقى عظامـــهم الغمام الـمسبلُ

ساروا أمـام المسلـمين كـــأنهـم

طـود يقـودهـم الهزبـر الـمشبـل

إذ يـهتـدون بجـعـــفر ولـــوائه

قـــدام أولـهـــم ونـــعـــم الأول

حتى تقوضـت الصفوف وجعفر

حيـث التـقى جمع الغـواة مجدّلُ

قـوم بـهم نـــصر الإلـهُ عبـــاده

وعليـــهم نزل الكـتـاب المنـزل

وبهـديـهم رضـــي الإله لخـلقه

وبجـــدهم نـصر النـبي المرسل

بيض الوجوه ترى بطون أكفهم

تندى إذا اغـبرّ الزمـــان الـممحل

فتغير القمر المنير لفقده

والشمس قد كسفت وكادت تأفل[1]

أقول: القصيدة صريحة بأن جعفراً كان هو القائد الأول للجيش كما يذهب إليه الشيعة خلافاً لمشهور العامة.

ومما قال حسان بن ثابت في رثائهم:

فلا يبعدنَّ الله قتلى تتابعوا

بمؤتة منهم ذو الجناحين جعفرُ

وزيد وعبد الله حين تتابعوا

جميعاً، وأسباب المنية تخطرُ

غداة مضوا بالمؤمنين يقودهم

---

(١) نقل الأبيات الشيخ الطوسي في الأمالي: ١٤٢، وابن أبي الحديد في شرح النهج: ٦٣/١٥، وأبي الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين: ٨ على اختلاف في المفردات.

إلى الموت ميمون النقيبة أزهرُ

أغرٌّ كضوء البدر من آل هاشم

أبيٌّ إذا سِيم الظلامة مجسرُ

فطاعنَ حتى مال غير موسد

لمعترك فيه قناً متكسرُ

فصار مع المستشهدين ثوابه

جنان وملتفّ الحدائق أخضرُ

وكنا نرى في جعفر من محمد

وفاءً وأمراً حازماً حين يأمرُ

فما زال في الإسلام من آل هاشم

دعائم عزٍّ لا يزلن ومفخرُ

همُ جبل الإسلام والناس حولهم

رضام إلى طود يروق ويقهرُ

بهاليلُ منهم جعفر وابن أمه

علـيٌّ، ومنـهـم أحـمدُ المتخيَّرُ

وحـمـزة والعـباس منهم، ومنهم

عقيل، وماء العود من حيث يعصرُ

بهم تفرج اللاواء في كل مـأزقٍ

عماس إذا ما ضاق بالناس مصدرُ

هـم أوليـاء الله أنـزل حـكـمـه

عليهم، وفيهم ذو الكتاب المطهرُ[1]

(١) سيرة ابن هشام: ١٨/٤.

فضله وعظيم منزلته

روى الفريقان في فضله وعظيم عند الله و عند رسول الله (صلى الله عليه وآله) أحاديث كثيرة، وقد تقدّم بعضها من مصادرنا حيث شكره الله تعالى على استقامته وحسن سيرته وأبان النبي (صلى الله عليه وآله) للمسلمين فضله وعلوّ منزلته.

وهو ممن نزلت في فضله آيات قرآنية، منها قوله تعالى: ﴿أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا..﴾[1] (الحج: ٣٩) وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً﴾[2] (النساء: ٦٩).

---

(١)راجع بحار الأنوار: ٢٧٨/٢٢ و ٢٨٢، ح ٣٠، ٤٠ عن تفسير القمي وفرات بن إبراهيم.

(٢) أصول الكافي: ٤٥٠/١.

ومنها قوله تعالى: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً﴾ (الأحزاب : ٢٣).

روى الشيخ الصدوق في الخصال حديثاً طويلاً عن أمير المؤمنين (عليه السلام) قال: (ولقد كنت عاهدت الله عز وجل ورسوله (صلى الله عليه وآله) أنا وعمي حمزة وأخي جعفر، وابن عمي عبيدة على أمر وفينا به لله عز وجل ولرسوله، فتقدمني أصحابي وتخلفت بعدهم لما أراد الله عز وجل فأنزل الله فينا ﴿من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً﴾ حمزة وجعفر وعبيدة، وأنا -والله- المنتظر)[1].

وروى الشيخ الكليني في الكافي بسنده عن أصبغ

(١) الخصال: ٣٧٦، ح٥٨. ط. جماعة المدرسين.

بن نباتة قال: (رأيت أمير المؤمنين عليه السلام يوم افتتح البصرة وركب بغلة رسول الله (صلى الله عليه وآله) (ثم) قال: أيها الناس ألا أخبركم بخير الخلق يوم يجمعهم الله؟، فقام إليه أبو أيوب الأنصاري فقال: بلى يا أمير المؤمنين حدثنا فإنك كنت تشهد ونغيب، فقال: إن خير الخلق يوم يجمعهم الله سبعة من ولد عبد المطلب لا ينكر فضلهم إلا كافر ولا يجحد به إلا جاحد، فقام عمار بن ياسر - رحمه الله - فقال، يا أمير المؤمنين سمّهم لنا لنعرفهم، فقال: إن خير الخلق يوم يجمعهم الله: الرسل وإن أفضل الرسل محمد (صلى الله عليه وآله) وإن أفضل كل أمة بعد نبيها وصيّ نبيّها حتى يدركه نبي، ألا وإن أفضل الأوصياء وصيّ محمد عليه وآله السلام، ألا وإن أفضل الخلق بعد الأوصياء الشهداء، ألا وإن أفضل الشهداء حمزة بن عبد المطلب، وجعفر بن أبي طالب له

جناحان خضيبان يطير بهما في الجنة، لم ينحل أحد من هذه الأمة جناحان غيره، شيء كرم الله به محمداً (صلى الله عليه وآله) وشرّفه والسبطان الحسن والحسين والمهدي ، يجعله الله من شاء منا أهل البيت، ثم تلا هذه الآية ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَـئِكَ رَفِيقاً ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللّهِ وَكَفَى بِاللّهِ عَلِيماً﴾ (النساء:٦٩-٧٠))[1].

وروى في الكافي بسنده عن يوسف بن ابي سعيد قال: كنت عند أبي عبد الله (عليه السلام) ذات يوم فقال لي: إذا كان يوم القيامة وجمع الله تبارك وتعالى الخلائق كان نوح (صلى الله عليه) أول من يدعا به، فيقال له:

(١) الكافي: ٤٥٠/١، ح ٣٤.

هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال له: من يشهد لك؟ فيقول: محمد بن عبد الله (صلى الله عليه وآله)، قال: فيخرج نوح (صلى الله عليه) فيتخطى الناس حتى يجئ إلى محمد (صلى الله عليه وآله) وهو على كثيب المسك ومعه علي (عليه السلام) وهو قول الله عز وجل: " فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا " فيقول نوح لمحمد (صلى الله عليه وآله): يا محمد إن الله تبارك وتعالى سألني: هل بلغت؟ فقلت: نعم، فقال: من يشهد لك؟ فقلت: محمد، فيقول: يا جعفر ويا حمزة اذهبا واشهدا له أنه قد بلغ، فقال أبو عبد الله (عليه السلام): فجعفر وحمزة هما الشاهدان للأنبياء (عليهم السلام) بما بلغوا، فقلت: جعلت فداك فعلي (عليه السلام) أين هو؟ فقال: هو أعظم منزلة من ذلك [1].

(١) الكافي : ٨/٢٦٧ح/٣٩٢، بحار الأنوار : ج ٧ /ص ٢٨٢.

وروى أيضاً في موضع آخر (أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) كان في بعض مغازيه فمر به ركب وهو يصلي فوقفوا على أصحاب رسول الله (صلى الله عليه وآله) وسائلوهم عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ودعوا وأثنوا وقالوا: لولا أنا عجال لانتظرنا رسول الله (صلى الله عليه وآله) فأقرؤه منا السلام، ومضوا فأقبل رسول الله (صلى الله عليه وآله) مغضباً ثم قال لهم: يقف عليكم الركب ويسألونكم عني ويبلغوني السلام ولا تعرضون عليهم الغداء!، ليعزّ على قوم فيهم خليلي جعفر أن يجوزوه حتى يتغدوا عنده)[1].

وورد في غيبة النعماني بسنده عن أبان بن عثمان قال: (قال أبو عبد الله جعفر بن محمد عليهما السلام: بينا رسول الله (صلى الله عليه وآله) ذات يوم في البقيع حتى أقبل علي عليه السلام

(١) الكافي: ٢٧٥/٦، ح ١.

فسأل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل إنه بالبقيع، فأتاه علي عليه السلام فسلّم عليه فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله): اجلس فأجلسه عن يمينه، ثم جاء جعفر بن أبي طالب فسأل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل له: هو بالبقيع فأتاه فسلم عليه فأجلسه عن يساره، ثم جاء العباس فسأل عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقيل له: هو بالبقيع فأتاه فسلم عليه فأجلسه أمامه، ثم التفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى علي عليه السلام فقال: ألا أبشرك؟ ألا أخبرك يا علي، فقال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عليه السلام عندي آنفاً وأخبرني أن القائم الذي يخرج في أخر الزمان فيملأ الأرض عدلاً (كما مُلئت ظلماً وجوراً) من ذريتك من ولد الحسين، فقال علي: يا رسول الله ما أصابنا خير قط من الله إلا على يديك، ثم التفت رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى جعفر بن أبي طالب فقال: يا جعفر ألا أبشرك؟ ألا

أخبرك؟ قال: بلى يا رسول الله، فقال: كان جبرئيل عندي آنفاً فأخبرني أن الذي يدفعها (أي الراية) إلى القائم هو من ذريتك، أتدري من هو؟ قال: لا، قال: ذاك الذي وجهه كالدينار (كالبدر ل خ)، وأسنانه كالمنشار، وسيفه كحريق النار، يدخل الجند ذليلاً، ويخرج منه عزيزاً، يكتنفه جبرئيل وميكائيل، ثم التفت إلى العباس فقال: يا عم النبي ألا أخبرك بما أخبرني به جبرئيل عليه السلام؟ فقال: بلى يا رسول الله، قال: قال لي جبرئيل: ويل لذريتك من ولد العباس، فقال: يا رسول الله أفلا أجتنب النساء؟ فقال له: (قد) فرغ الله مما هو كائن)[1].

وكان النبي (صلى الله عليه وآله) يعدّه من أهل بيته فقد روى والد الشيخ الصدوق قال: إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) نظر

(١) كتاب الغيبة لمحمد بن إبراهيم النعماني: ٢٥٣، باب ١٤، ح١.

إلى ولدي أمير المؤمنين الحسن والحسين (صلوات الله عليهما) وبنات جعفر بن أبي طالب صلوات الله عليه فقال: (بنونا لبناتنا وبناتنا لبنينا)[١]، أقول: لم تذكر المصادر وجود بنات لجعفر وهذا لا يؤثر فمحل كلامنا حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وقد تزوّج عبد الله بن جعفر العقيلة زينب بنت أمير المؤمنين (عليها السلام)، وتزوّج محمد بن جعفر أم كلثوم بنت أمير المؤمنين (عليها السلام) بحسب رواية الواقدي[٢].

وكان لجعفر منزلة كبيرة في قلب أخيه أمير المؤمنين وفي كتاب كتبه (عليه السلام) إلى معاوية: (إن قوماً استشهدوا في سبيل الله من المهاجرين، ولكلٍ فضل

(١) بحار الأنوار: ٣٧٣/١٠٣ عن فقه الرضا: ٣٥٥.

(٢) الإصابة في تمييز الصحابة: ٣٧٢/٣ رقم الترجمة (٧٧٦٤).

حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: سيد الشهداء، وخصّه رسول الله (صلى الله عليه وآله) بسبعين تكبيرة عند صلاته عليه، أوَلا ترى أن قوماً قطعت أيديهم في سبيل الله ولكل فضل، حتى إذا فُعل بواحدنا كما فعل بواحدهم قيل: الطيار في الجنة وذو الجناحين)[1]

وذكر ابن أبي الحديد في شرح نهج البلاغة عن الشعبي قال: (سمعت عبد الله بن جعفر يقول: كنت إذا سألت عمي علياً شيئاً فمنعني أقول له: بحق جعفر فيعطيني)[2].

وروي في تفسير فرات الكوفي عن الامام الباقر (عليه السلام) حديث في ذكر اهل البيت (عليهم السلام) وجعفر ذوا

(١) نهج البلاغة: ٣٢/٢.

(٢) بحار الأنوار: ٦٤/٢١ عن شرح نهج البلاغة: ٤٢/٣-٤٧.

الجناحين والقبلتين والهجرتين والبيعتين من الشجرة المباركة)[١].

وعن امير المؤمنين علي ابن ابي طالب (عليه السلام) قال (إذا جمع الله الأولين والآخرين كان أفضلهم سبعة منا بني عبد المطلب) الى ان قال وحمزة سيد الشهداء، وجعفر ذو الجناحين يطير مع الملائكة، لم ينحله شهيدا قط قبله رحمة الله عليهم أجمعين)[٢].

والروايات في فضله كثيرة من مصادر العامة ايضا، ففي صحيح البخاري و سنن الترمذي أن النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) بحار الأنوار: ج ٢٣ /ص ٢٤٦ عن تفسير فرات بن إبراهيم: ٣٩٥-٣٩٧/ ح٥٢٧.

(٢) بحار الأنوار: ج ٢٤ / ٣٢ عن تفسير فرات بن إبراهيم: ١١٣/ ح ١١٤.

قال له: (أشبهت خلقي وخلقي)[1]، ورواه في الاستيعاب بسنده عن علي (عليه السلام) أن النبي (صلى الله عليه وآله) قال لجعفر: (أشبهت خلقي وخلقي يا جعفر).

وكان الصحابة يعرفون ذلك فقد روى أبو الفرج الأصفهاني في مقاتل الطالبيين بسنده عن أبي هريرة قال: (ما ركب أحد المطايا ولا ركب الكور ولا انتعل ولا احتذى النعال أحد بعد رسول الله (صلى الله عليه وآله) أفضل من جعفر بن أبي طالب).

وكان جعفر (عليه السلام) معروفاً بحبّه للمساكين وضعفاء الناس فيغدق عليهم من عطائه ويجلس إليهم ويحدّثهم ويحدثّونه -روى ذلك ابن ماجة في سننه عن أبي

(١) صحيح البخاري، كتاب ٦٢: فضائل الصحابة، باب ١٠، ح ٣٧٠٨، سنن الترمذي: ح ٣٧٦٥، كنز العمال: ١٤٥/١٣ ح٣٦٩٠٥ وفي الإصابة وغيرها.

هريرة- ورواه المتقي الهندي عن سند بلال[١].

وقال أبو هريرة أيضاً (كان أخير الناس للمسلمين جعفر بن أبي طالب كان ينقلب بنا فيطعمنا ما كان في بيته حتى إن كان ليخرج إلينا العكة التي ليس فيها شيء فنشقّها فنلعق ما فيها)[٢]، وروى ابن ماجة في سننه وابن حجر في الإصابة أن النبي (صلى الله عليه وآله) كان يكنّيه أبا المساكين.

وسمّاه النبي (صلى الله عليه وآله) ومن معه بأهل الهجرتين لأنهم هاجروا إلى الحبشة وإلى المدينة، روى ذلك مسلم في صحيحه عن أبي موسى الأشعري قال: (دخلت أسماء بنت عميس -زوج جعفر- وهي ممن قدم معنا على

(١) كنز العمال: ١٣/١٤٥ح٣٦٩٠٥.

(٢) صحيح البخاري، الموضع السابق.

حفصة زوجة النبي (صلى الله عليه وآله) زائرة وقد كانت هاجرت إلى النجاشي فيمن هاجر إليه فدخل عمر على حفصة وأسماء عندها فقال عمر حين رأى أسماء: من هذه؟ قالت: أسماء بنت عميس، قال عمر: الحبشية هذه البحرية هذه؟ فقالت أسماء: نعم، فقال عمر: سبقناكم بالهجرة فنحن أحق برسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم منكم، فغضبت وقالت كلمة: كذبت يا عمر كلا والله كنتم مع رسول الله صلى الله عليه وسلم يطعم جائعكم ويعظ جاهلكم وكنا في دار أو في أرض البعداء البغضاء في الحبشة وذلك في الله وفي رسوله وأيم الله لا أطعم طعاماً ولا أشرب شراباً حتى أذكر ما قلت لرسول الله صلى الله عليه - وآله - وسلم ونحن كنا نؤذى ونخاف وسأذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأسأله، ووالله لا أكذب ولا أزيغ ولا أزيد

على ذلك، قال: فلما جاءت النبي (صلى الله عليه – وآله– وسلم) قالت: يا نبي الله إن عمر قال كذا وكذا، فقال رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم: ليس بأحق بي منكم وله ولأصحابه هجرة واحدة ولكم أنتم أهل السفينة هجرتان، قالت: فلقد رأيت أبا موسى وأصحاب السفينة يأتوني إرسالاً يسألوني عن هذا الحديث ما من الدنيا شيء هم به أفرح ولا أعظم في أنفسهم مما قال لهم رسول الله صلى الله عليه – وآله – وسلم، قال أبو بردة: فقالت أسماء فلقد رأيت أبا موسى وإنه ليستعيد هذا الحديث مني)[1].

(١) صحيح مسلم: ١٧٢/٧، السنن الكبرى للنسائي: ١٠٤/٥، فتح الباري: ١٤٥/٧، مسند أبي يعلى: ٣٠٤/١٣، كتاب فضائل الصحابة، باب ٤١، ح ٢٥٠٣

زوجه وأولاده وولاؤهم لأهل البيت (عليها السلام)

تزوج في مكة قبل الهجرة أسماء بنت عميس الخثعمية و هاجرت معه إلى الحبشة، وهي امرأة جليلة واعية ذات بصيرة سبقت إلى الإسلام مع زوجها جعفر، أثنى عليها رسول الله (صلى الله عليه وآله) وعلى رجحان عقلها، روي أنه (لما رجعت أسماء بنت عميس من الحبشة، مع زوجها جعفر بن أبي طالب عليه السلام، دخلت على نساء رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقالت: هل نزل فينا شيء من القرآن؟ قلن: لا. فأتت رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقالت: يا رسول الله، إن النساء لفي خيبة وخسار. فقال (صلى الله عليه وآله): ومم ذلك؟ قالت: لأنهن لا يُذكرن بخير، كما يذكر الرجال. فأنزل الله تعالى هذه الآية. ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ

وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾)[1].

وكانت مقرّبة للصديقة الطاهرة فاطمة الزهراء (عليها السلام) وملازمة لها خصوصاً أيام محنتها وهي التي تولّت مداراتها في مرضها وكانت حاضرة عند وفاتها بحسب ما تذكره الروايات رغم أنها كانت زوجة لأبي بكر يومئذٍ.

وأسماء هي أم أولاد جعفر جميعاً، وتزوجها بعد شهادته أبو بكر فولدت منه محمد بن أبي بكر الذي

(١) مجمع البيان: ٣٥٣/٨-٣٥٨، بحار الأنوار: ١٧٦/٢٢.

قال فيه أمير المؤمنين (عليه السلام): (فلقد كان إليّ حبيباً وكان لي ربيباً)[1]، واستشهد في مصر حيث ولاه أمير المؤمنين (عليه السلام) عليها.

وبعد وفاة أبي بكر تزوج أمير المؤمنين (عليه السلام) من أسماء وولدت له يحيى بن علي.

والمعروفون من أولاد جعفر (رضوان الله عليه) ثلاثة وُلدوا كلهم في أرض الهجرة، وهم:

١- عبد الله بن جعفر زوج العقيلة زينب وهو من أجواد قريش وأسيادهم، روى عبد الله حادثة استشهاد أبيه جعفر (عليه السلام) وتعزية النبي (صلى الله عليه وآله) لأمه إلى أن

(١) نهج البلاغة: ١١٧/١، الخطبة (٦٨)، وروى بمعناه المجلسي في البحار: ٥٦٦/٣٣ عن المدائني: (قيل لعلي عليه السلام: لقد جزعت على محمد بن أبي بكر جزعاً شديداً يا أمير المؤمنين! فقال: وما يمنعني؛ إنه كان لي ربيباً وكان لبنيّ أخاً وكنت له والداً أعده ولداً).

قال: ((فأتانا رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأنا أساوم شاة أخ لي، فقال: اللهم بارك له في صفقته) قال عبد الله: فما بعت شيئاً ولا اشتريت شيئاً إلا بورك لي فيه))[1]. شارك مع عمه أمير المؤمنين (عليه السلام) في معاركه وكان من امراء الجيش في صفين، استشهد له ولدان مع الإمام الحسين (عليه السلام) في كربلاء، توفي سنة ثمانين عن عمر ناهزها فتكون ولادته في السنة الأولى من الهجرة، وقد سارت الركبان بأخبار كرمه وسخائه (راجع الإصابة مثلاً) وفي ذلك يقول عبد الله بن قيس الرقيات:

وما كنت إلا كالأغرّ ابن جعفرٍ

رأى المال لا يبقى فأبقى له ذكرا[2]

(١) بحار الأنوار: ٥٧/٢١ عن إعلام الورى بأعلام الهدى: ١١٠-١١٢.

(٢) الإصابة: ٢٩٠/٢، رقم الترجمة: ٤٥٩١.

٢- محمد بن جعفر وفي الإصابة أنه أول من سمّي محمداً في الإسلام من المهاجرين أثنى عليه أمير المؤمنين (عليه السلام) ووصفه بأنه يأبى أن يعصى الله تبارك وتعالى فقد روى الكشي في رجاله بسنده عن الإمام الرضا (عليه السلام) قال: (كان أمير المؤمنين (عليه السلام) يقول: إن المحامدة تأبى أن يعصى الله عز وجل، قلت ومن المحامدة؟ قال: محمد بن جعفر ومحمد بن أبي بكر ومحمد بن أبي حذيفة وهو ابن عتبة بن ربيعة وهو ابن خال معاوية)[1].

أقول: وكلهم استشهد على يد معاوية.

وقد روى أبو الفرج الأصفهاني أن محمداً كانت معه راية أمير المؤمنين التي تسمى الجموح في معركة

(١) رجال الكشي: ٤٧ في ترجمة محمد بن أبي حذيفة.

صفين واستشهد فيها[١]، وفي الاستيعاب والإصابة عن الواقدي أنه استشهد بتستر مع أخيه عون.

٣- عون بن جعفر، وفي الاستيعاب أنه استشهد في تستر أيام خلافة عمر، وقال في عمدة الطالب أنه قتل بالطف مع الحسين عليه السلام[٢].

أقول: المعروف والمشهور أن عون الشهيد في كربلاء هو ابن عبد الله بن جعفر.

هؤلاء الثلاثة هم المعروفون من ولد جعفر وذكر ابن عنبة في عمدة الطالب أن لجعفر ثمانية بنين ولم يتأكد لنا ذلك فإن الروايات التي تذكر شهادة جعفر (عليه السلام) وتعزية النبي (صلى الله عليه وآله) لأسرته تذكر هؤلاء

(١) مقاتل الطالبيين: ١١.

(٢) عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، أحمد بن علي الحسيني المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ): ١٠٧/١، الأصل الثاني.

الثلاثة فقط، فقد روى ابن عبد البر في الاستيعاب وابن عنبة في عمدة الطالب هذه الحادثة عن عبد الله بن جعفر وقال: ((ثم أخذ بيد محمد وقال: هذا شبيه عمنا أبي طالب وقال لعون: هذا شبيه أبيه خلقاً وخُلقاً، وأخذ بيدي فأمالها وقال: اللهم احفظ جعفراً في أهله))[1].

وقال أبو نصر البخاري: ((كل جعفري في الدنيا فمن ولد عبد الله بن جعفر إذ لم يصحّ لجعفر عقب إلا من عبد الله بن جعفر، والذين ينتسبون إلى عون

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ٤٤/٣ رقم الترجمة ٦١٠٧، عمدة الطالب: ١٠٨/١ وأورد في الهامش مصادر الرواية: مسند أحمد: ٢٠٤/١، فضائل الصحابة للنسائي: ١٨-١٩، البداية والنهاية: ٢٨٤/٤، تأريخ مدينة دمشق: ٢٥٥/٢٧ ذيل الحديث ٥٨٠٧ سير أعلام النبلاء: ٤٥٨/٣.

ومحمد ابني جعفر لم يصح نسبهم أصلاً))[١].

أقول: تراه لم يذكر أحداً غير الثلاثة. وهكذا المصادر الأخرى كالإصابة وغيره.

وعُرف هذا البيت بموالاته أهل البيت (عليهم السلام) وكثر فيه الشهداء دفاعاً عن المظلومين ومقارعة الظلم والطغيان وضمّ كتاب مقاتل الطالبيين أسماء الكثير منهم.

واشتهر من أحفاد جعفر: أبو هاشم الجعفري داود بن القاسم وكان عالماً جليل القدر عظيم المنزلة عند الأئمة الذين عاصرهم وهم الإمام الرضا والجواد والهادي والعسكري (عليهم السلام).

ومنهم أبو سليمان الجعفري: جعفر بن إبراهيم بن

(١) سر السلسلة العلوية لأبي نصر البخاري (توفي ٣٥٧ ببغداد): ٢٥-٢٦.

محمد بن علي بن عبدالله بن جعفر، عدّه الشيخ الطوسي من أصحاب الامامين الصادق والكاظم(عليهما السلام).

نصرة آل جعفر للإمام الحسين (عليه السلام)

كان ذكر جعفر حاضراً في كربلاء فقد افتخر الإمام الحسين (عليه السلام) به وقال في مقام الاحتجاج على الجيش المعادي: (فأنشدكم الله هل تعلمون أن جعفر الطيار في الجنة عمي؟ قالوا اللهم نعم)[1].

وجدّد أبو الفضل العباس بن أمير المؤمنين (عليه السلام) ذكر عمّه جعفر بقطع يديه روي عن الإمام السجاد علي بن الحسين (عليهما السلام) أنه قال في حديث: (رحم الله العباس فلقد آثر وأبلى وفدى أخاه بنفسه حتى قطعت يداه فأبدله الله عز وجل بهما جناحين، يطير بهما مع الملائكة في الجنة كما جعل لجعفر بن أبي طالب، وإن للعباس عند الله تبارك وتعالى منزلة يغبطه بها جميع

(١) الأمالي للصدوق: ٢٢٢، ح ٢٣٩، بحار الأنوار: ٣١٨/٤٤.

الشهداء يوم القيامة)[١].

واستشهد اثنان من أولاد عبد الله بن جعفر بين يدي الإمام الحسين (عليه السلام) وهما[٢]:

١- عون: وفي مقاتل الطالبيين أن أمه العقيلة زينب (عليها السلام) وخالفه الأكثر وورد السلام عليه في زيارة الناحية المقدسة (السلام على عون بن عبد الله بن جعفر الطيار في الجنان، حليف الإيمان، و منازل الأقران، الناصح للرحمن، التالي للمثاني والقرآن)[٣].

وكان يرتجز أثناء القتال ويقول:

إن تنكروني فأنا ابن جعفـــرْ

شهيد صدق في الجنان أزهرْ

---

(١) أمالي الصدوق: ٢٧٧، الخصال: ٣٧/١.

(٢) الصحيح من مقتل الإمام الحسين (عليه السلام) للريشهري: ٨٦٦.

(٣) نفس المصدر: ١٤٢٨.

يطـير فيـها بجـناح أخضـر

كـفـى بهـذا شرفاً في معشرْ

٢- محمـد: وأمـه الخوصـاء، وورد السـلام عليـه فـي زيارة الناحية (السلام على محمد بن عبـد الله بـن جعفـر ألشاهد مكان أبيه والتالي لأخيه وواقيه ببدنه).

وكان يرتجز ويقول:

أشكو إلى الله من العدوانِ

فعال قوم في الردى عميانِ

قد بدّلـوا مـعـالم القـرآن

ومـحـكم التنـزيل والتبـيانِ

وأظهروا الكفر مع الطغيانِ

وكـان عبـد الله بـن جعفـر يأسـى لعـدم تمكنـه مـن الشهادة بين يدي الإمـام الحسـين (عليه السلام) ويجـد السـلوة في أنـه قـدّم ولديـه شـهيدين وأن زوجـه العقيلـة زينـب

كان لها الدور العظيم في إنجاز ما خرج الإمام الحسين (عليه السلام) من أجله.

وفي تأريخ الطبري (لما بلغ عبد الله بن جعفر بن أبي طالب مقتل ابنيه مع الحسين دخل عليه بعض مواليه والناس يعزونه فقال أبو السلاسل مولى عبد الله: هذا ما لقينا ودخل علينا من الحسين، قال فحذفه عبد الله بن جعفر بنعله ثم قال: يا ابن اللخناء أللحسين تقول هذا! والله لو شهدته لأحببت أن لا أفارقه حتى أقتل معه، والله إنه لمما يُسخّي بنفسي عنهما ويهون عليّ المصاب بهما أنهما أصيبا مع أخي وابن عمي مواسيين له صابرين معه، ثم أقبل على جلسائه فقال: الحمد لله، عزّ علي مصرع الحسين، إن لا أكن آست حسيناً بيدي فقد

آساه ولدي)[١].

وكل الهاشميين الذين استشهدوا في كربلاء هم من ذرية أبي طالب وفاطمة بنت أسد ومن أولاد علي وأخويه جعفر وعقيل، وقال الشاعر في ذلك:

تسعةٌ منهمُ لصلب عليٍّ وثمان لجعفرٍ وعقيل

وفي الرواية أنه ذكر عند الإمام الباقر (عليه السلام) قتل الحسين وأهل بيته فقال: (قتلوا سبعة عشر إنساناً كلهم ارتكض من بطن فاطمة بنت أسد)[٢].

(١) تاريخ الطبري: ٣٥٧/٤. ورواه الشيخ المفيد في الإرشاد: ٢٣٢-٢٣٣.

(٢) مثير الأحزان لابن نما الحلي (ت ٦٤٥ هـ): ٨٩

المرقد الطاهر للشهيد جعفر الطيار (عليه السلام)

يقع مرقده الشريف حيث استشهد في بلدة مؤته وهي اليوم ضمن لواء المزار الجنوبي في محافظة الكرك وتبعد عن مدينة الكرك مسافة ١٢ كم وتبتعد ١٤٠ كم جنوب العاصمة الأردنية عمان، وفيها أولى جامعات جنوب الأردن والتي اطلق عليها اسم جامعة مؤته١.

وعلى مرقد مزار ومسجد عامر يقصده الزوار من بقاع الأرض ولا نعلم الرواية التي استند اليها محمد حسين هيكل حتى قال فيما حكي عنه ((وفي رواية أن جثة جعفر حملت إلى المدينة ودفنت بعد ثلاثة أيام

(١) أخذت المعلومات من موسوعة ويكيبيديا

من وصول خالد بن الوليد والجيش اليها))[١] .

روى المرحوم الشيخ محمد حسين حرز الدين في هامش كتاب جده مراقد المعارف عن المحقق المرحوم السيد عبد الرزاق الموسوي المقرّم قال ((حدثني الشريف الجليل الأديب السيد عبد الجبار الوردي الكاظمي في يوم السبت ١٠/جمادي الأول/ ١٣٨٦ في دمشق الشام ان الشريف عبدالله من أهل عمان والمحامي في المحكمة الشرعية، حدَّثه في قرية اريحا سنة ١٣٨٣ أنه في سنة ١٩٤٢ ذهب مع الشريف عبدالله بن الحسين ملك الأردن لتعمير قبر جعفر الطيار في مؤته فلما وصلوا إلى القبر وجدوه مهدوماً فنزل الشريف عبدالله المحامي في المحكمة الشرعية إلى القبر وحده بأمر الشريف الأمير عبدالله فرأى بدن جعفر الطيار بهيئته وثيابه وعليه الدم طرياً والسيف في عنقه،

(١) حياة محمد: ٣٧٨

لم يتغير من بدنه شيء فكأنه ميت من يومه وكان الشريف المحامي يحلف بالإيمان المغلظة مراراً أنه وجدوه كذلك. فعمّر الأمير عبدالله بن الملك حسين القبر وبنى المسجد الذي عليه الآن، وعَّمر أيضاً قبري زيد بن حارثة وعبدالله بن رواحه على بعد أمتار منه وبهذه المناسبة نظم السيد عبدالجبار الوردي بيتين في حق جعفر ذي الجناحين:

وشهيد بأرض مـؤتة حـــي
جعفر والشهيد ليس يمـــوت
هو باقٍ قد ضمّه كـــل قلب
حيث ما ضم جعفراً تابوت[1]

(١) مراقد المعارف: ٢٢٥/١

فاطمة بنت أسد عليها السلام

مثال الإيمان والتضحية والايثار[1]

(١) ألقيت على حشد كبير من طلبة الحوزة الشريفة ممن يحضرون درس (كفاية الاصول) وغيرهم في مسجد الأس الشريف (رواق ابي طالب اليوم) بمناسبة ميلاد أمير المؤمنين (عليه السلام) في ١٣/رجب / ١٤٢٢هـ الموافق ٢٠٠١/١٠/١م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله كما هو أهله وصلى على محمد وآله الطاهرين...

كما تحدثنا في ذكرى ولادة الزهراء (سلام الله عليها) عن الوالدة، كذلك في هذه المناسبة المباركة التي هي مولد أمير المؤمنين (عليه السلام) نذكر الوالدة العظيمة فاطمة بنت أسد بن هاشم، خصوصاً وإنه لم يعرف يوم وفاتها أو ولادتها حتى يحتفل بذكراها، فلنخصص جزءاً من الاحتفالات في هذا اليوم لها باعتباره يوماً من أيامها لما حصل لها في هذا اليوم من المنقبة والفضيلة.

وهاتان المرأتان أعني خديجة وفاطمة بنت أسد (عليهما السلام) تشتركان في عدة نقاط:

الأولى: رعايتهما الواسعة لحامل الرسالة (صلى الله عليه وآله) مما

أوجب صدور كلمات رقيقة وجليلة منه (صلى الله عليه وآله) فيهما.

الثانية : طهارتها وتنزيهها من شرك الجاهلية و رذائلها الاخلاقية فكلاهما مقصودتان في شهادة الامام الصادق (عليه السلام) لجده الامام الحسين (عليه السلام) حينما وقف يزوره بالزيارة المعروفة ب((وارث)) وفيها يقول (عليه السلام) (أَشْهَدُ أَنَّكَ كُنْتَ نُوراً فِي الْأَصْلَابِ الشَّامِخَةِ، وَالْأَرْحَامِ الْمُطَهَّرَةِ، لَم تُنَجِّسْكَ الْجَاهِلِيَّةُ بِأَنْجَاسِهَا، وَلَمْ تُلْبِسْكَ مِنْ مُدْلَهِمَّات ثِيَابِهَا)

وهما خديجة وفاطمة بنت اسد اصل من عناهما الامام السجاد (عليه السلام) في خطبته في الشام امام يزيد الطاغية (أنا ابن عديمات العيوب انا ابن نقيات الجيوب)

الثالثة: تقصير المسلمين في معرفة هاتين المرأتين، وغاية ما يعرف عنهما اسمهما وبعض النتف البسيطة

عن سيرتهما المباركة لا أكثر، فكتاب الإصابة المكرّس لسير الصحابة كتب أقل من نصف صفحة في سيرة فاطمة، بينما ملأ صفحات لغيرها ممن هنّ أقل شأناً منها ولا سابقة لهنّ في الإسلام.

وكتاب الأعلام للزركلي الذي دوّن أسماء من هبّ ودب لم يذكر لها اسماً ولا حتى في المستدرك.

وإن كانت مظلومية فاطمة بنت أسد أكبر من خديجة، والجهل بها أكثر لذنب حُسب عليها، وهو أنها أم علي بن أبي طالب (عليه السلام) الذي حادّته قريش ونابذته وشتمته على المنابر سبعين عاماً، فكيف يمجّدون أمه، ويشاركها بهذا الذنب زوجها حامي النبي (صلى الله عليه وآله) وناصره أبو طالب بن عبد المطلب سيد الأبطح، الذي قالت فيه أخت عمرو بن عبد ود العامري فارس قريش بعد أن بلغها قتله، قالت: ومن الذي تجرأ

على أخي وقتله؟ قيل لها: علي بن أبي طالب، فارتاحت عندئذ وسكنت وقالت أبيات من الشعر، نأخذ هذين البيتين محل الشاهد:

لو كان قاتل عمـــر غير قاتله

لكنتُ أبكي عليه دائـــم الأبدِ

لكن قاتله مـــن لا يعـــاب به

قد كان يدعى أبوه بيضة البلدِ

ونحن حينما نعرض سيرة هاتين المرأتين (خديجة وفاطمة بنت أسد)، خصوصاً إذا لم نكتفِ بالسرد التاريخي وإنما نبين بعض الدروس والعبر المستفادة منهما، فإننا سنغني ثقافة المرأة المسلمة بالشيء الكثير، لأن مكتبة المرأة تبدو فقيرة بمعالم شخصية المرأة المسلمة كما يريدها الإسلام، فمن هي أم أمير المؤمنين (عليه السلام)؟.

هي فاطمة بنت أسد بن هاشم وزوجها أبو طالب بن عبد المطلب بن هاشم، فأولادهما أول من ولد من هاشميين[١]، وهم أربعة، أكبرهم طالب ولم يعرف تاريخيا ولا عقب له[٢] ثم عقيل ثم جعفر ثم علي (عليه السلام)، وبين كل واحد وآخر عشر سنين[٣]، فيكون

(١) بعض المصادر قالت أن علي بن أبي طالب هو أول من ولد من هاشميين والصحيح أن إخوته سبقوه بهذا اللقب لأنه أصغرهم والمهم أنه (عليه السلام) وإخوته سبقوا كل أحد بهذا العنوان، لذا لا بد من تأويل هذا الكلام الموجود في تهذيب الأحكام –والذي تجده في الكافي، كتاب الحجة باب مولد أمير المؤمنين (عليه السلام). ولعله أراد بالأول نسبة إلى غير أولاد أبي طالب فيكون: الكلام شاملاً له ولإخوته وليس بالنسبة إلى إخوته.

(٢) ممن ذكر ذلك ابن ابي الحديد في شرح نهج البلاغة :١٦/١ وحكاه في بحار الانوار:٨/٣٥ عن الفصول المهمة لابن الصباغ المالكي ومناقب الخوارزمي

(٣) مقاتل الطالبيين ص٣

أولهم (وهو طالب) أكبر من آخرهم (وهو علي (عليه السلام)) بثلاثين سنة، وهو نفس الفرق في العمر بين رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين علي (عليه السلام) فيكون رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالعمر بقدر طالب الابن الأكبر لأبي طالب[1].

وقد كانت مؤمنة بالله وموحدة له قبل الإسلام على دين أبيها إبراهيم (عليه السلام) وملته، وبذلك نعتقد نحن الإمامية، فإن سلسلة آباء وأمهات المعصومين (عليهم السلام) كلهم إلى آدم (عليه السلام) مؤمنون موحدون، فإنهم لم ينتقلوا إلى صلب مشرك ولا رحم مشركة قط.

ويشهد لذلك ما ورد في حديث ولادتها لأمير المؤمنين (عليه السلام) – وكان ذلك قبل البعثة طبعاً – عن

(١) هذا الحساب نحتاجه لأمر ما سيأتي إن شاء الله تعالى.

الصادق (عليه السلام) عن آبائه (عليهم السلام) قال: كان العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب جالسين ما بين فريق بني هاشم إلى فريق عبد العزى بأزاء بيت الله الحرام، إذ أتت فاطمة بنت أسد بن هاشم، وكانت حاملاً بأمير المؤمنين (عليه السلام) لتسعة أشهر، وكان يوم التمام، فوقعت بأزاء بيت الله الحرام، وقد أخذها الطلق فرمت بطرفها نحو السماء وقالت: أي ربّ، إني مؤمنة بك وبما جاء من عندك وبكل نبي من أنبيائك وبكل كتاب أنزلته، وإني مصدقة بكلام جدي إبراهيم الخليل (عليه السلام)، فإنه بنى بيتك العتيق (وهذا شاهد على إيمانها في الجاهلية)، فأسألك بحق هذا البيت ومن بناه، وهذا المولود الذي في أحشائي الذي يكلمني ويؤنسني بحديثه وأنا موقنة أنه إحدى آياتك ودلائلك، لما يسرت عليّ ولادتي. قال العباس بن عبد المطلب ويزيد بن قعنب: فلما

تكلمت فاطمة بنت أسد ودعت بهذا الدعاء رأينا البيت قد انفتح من ظهره ودخلت فاطمة فيه وغابت عن أبصارنا، ثم عادت الفتحة والتصقت.. إلى أن خرجت وبين يديها أمير المؤمنين علي (عليه السلام)، وكانت طيلة مكثها في داخل الكعبة تأكل من ثمار الجنة وتشرب من أنهارها بحسب ما أفادته الروايات، في ذلك يقول جدي الشيخ اليعقوبي[1]:

قمـــر بدا مِن أُفُق مكّة يشرقُ

فأضاءَ مغربها به والمشـــرقُ

وتهلّل البيـــت الحرامُ بطلعةٍ

منها يلـــوحُ سنا الهدى يتألقُ

(١) نشرت في مجلة الإيمان التي كان يصدرها والدي الشيخ موسى اليعقوبي (رحمه الله) في النجف: العدد٣ – ٤ من السنة الأولى سنة ١٩٦٤ ص١٩٢.

وضعته وسط البيت أمٌّ لم تزل

تقتات من ثمر الجنان وتُرزقُ

ولعبد الباقي العمري (رحمه الله) في ميلاده (عليه السلام):

أنت العلي الذي فوق العلى رُفعا

ببطن مكة وسط البيت إذ وضعا

سمّتك أمك بنت الليث حيدرة

أكرم بلبوة ليث أنجبت سبعا

وقد بقي أثر الشق شاهداً للأجيال على أثر هذه الفضيلة، وإن حاول الحساد إخفاءها بكسوة الكعبة وترميم الشق ونحوه لكي لا يسأل عنه من يراه فتنتشر هذه الفضيلة.

وهذا هو الإخفاء المادي، وهناك إخفاء بشكل آخر، إذ حاولوا أيضا نسبتها (الولادة في الكعبة) إلى غير علي (عليه السلام)، فجاؤوا بإفك ينزه عنه بيت الله الحرام،

فرووا عن مصعب بن عبد الله (وهؤلاء الزبيريون معروفون بحقدهم على أهل البيت (عليهم السلام)) أن أم حكيم بن حزام (أحد الصحابة الذين أسلموا متأخراً)، وهي فاختة بنت زهير بن أسد بن عبد العزى كانت ولدت حكيماً في الكعبة وهي حامل، فضربها المخاض وهي في جوف الكعبة فولدت فيها، فحملت في نطع وغسل ما كان تحتها من الثياب عند حوض زمزم، ولم يولد قبله ولا بعده في الكعبة أحد.

فالراوي الحاقد لم يكتفِ بالتزوير، وإنما أيضا ينفيها عن علي بن أبي طالب (عليه السلام)، ذكره الحاكم في المستدرك، وعلق عليه الحاكم قال: وهِم مصعب الراوي في الحرف الأخير، فقد تواترت الأخبار أن فاطمة بنت أسد ولدت أمير المؤمنين علي بن أبي طالب (كرم الله وجهه) في جوف الكعبة.

وتجد في كتاب الغدير للأميني روايات هذه المنقبة ومصادرها المتواترة من كتب العامة والخاصة ومن خلدها في شعره.

وهذه المنقبة وإن كانت تذكر لوليد الكعبة أمير المؤمنين (عليه السلام) وهو لها أهل – فهو (عليه السلام) ولد في بيت الله الحرام واستشهد في بيت الله الحرام وسجل هذه الفضيلة كثير من الشعراء منهم المرحوم جدي الشيخ محمد علي اليعقوبي، إذ يقول:

بأول بيت جـــاء لله ساجداً

وفاز بلقياه بـــــرابع مسجدِ

إلا أننا ينبغي أن لا نغفل الطرف الآخر بها – فالكرامة ليست فقط للمولود وإنما للوالدة أيضاً، هذا الذي جعلنا نذكر هذه المرأة في مثل هذه المناسبة – وهي الوالدة الطاهرة الكريمة – فإن الله سبحانه وتعالى

أذن لها في أن تلد داخل الكعبة المشرفة - على الله تعالى جليلة القدر.

وممن سجل هذه اللفتة – ذكر الوالدة وليس فقط المولود - العلامة الجليل المرحوم السيد إسماعيل الشيرازي – ابن عم المرجع السيد الشيرازي الذي كان في سامراء صاحب فتوى التتن المشهورة ووالد المرحوم السيد الهادي الشيرازي أحد مراجع التقليد في النجف توفي سنة ١٩٦٢م، في قصيدته الميلادية التي ألقاها في حفل مهيب بين يدي السيد المجدد العظيم الشيرازي وجمع غفير من العلماء والأدباء في مدينة سامراء، عندما كانت يوم ذاك عاصمة العلم وكعبة الوفاد عندما انتقل إليها المجدد، وقد نقل إن السيد الشيرازي نفسه شغف بالقصيدة وأفتتن بها لما ألقيت، فقام وقعد واضعاً يديه على رأسه وهو يقول: إي والله ...

إي والله، وأنا أذكر هنا بعض المقاطع منها لأحيي ذكرى هذه المرأة الجليلة ومولودها العظيم:

رغـــد العيش فزده رغـــــدا
بسلاف منـــك تشفي سقـــمي

*****

آنســـت نفســي من الكعبة نـور
مثلما آنـس موسى نـــار طور
يوم غشّى الملأ الأعلى ســـرور
شرع السمـع نـداء كنـــدا
شاطئ الوادي طوى من حـــرم

****

ولدت شمس الضحى بدر التمام
فانجلت عنـــا دياجيـــر الظلام
نـــادِ: يا بشـــراكمُ هذا غلام
وجهـــه فلقـــة بـــدرٍ يهتدى
بسنـــا أنـــواره في الظـــلمِ

*****

هـــذه فاطمـــة بنـــت أســـد
أقبـــلت تحملُ لاهـــوت الأبد
فاسجدوا ذلاً له فيمن سجـــد
فله الأمـــلاكُ خـــرّت سجّدا
إذ تجـــلّى نـــــورهُ في آدمِ

*****

هل درت أم العلى ما وضـــعت
أم درت ثدي الهدى ما أرضعت
أم درت كـــف النهى ما رفعت
أم درى رب الحـــجى ما ولدا
جـــلَّ معنـــاه فلمّـــا يعلمِ[1]

*****

(١) توجد القصيدة في مقدمة كتاب المكاسب التي كتبها السيد محمد كلانتر (رحمه الله) ج١/ ١٣٦ وما بعده.

هذه هي فاطمة بنت أسد، اختارها الله تبارك وتعالى لتحتضن وترعى أعظم رجلين في تاريخ البشرية بل سادة الخلق أجمعين، رسول الله (صلى الله عليه وآله) وأمير المؤمنين (عليه السلام)، كانت امرأة مؤمنة عارفة وعت علوم الأنبياء قبل الإسلام كزوجها أبي طالب، ففي الكافي عن عبد الله بن مسكان قال: قال أبو عبد الله (عليه السلام): إن فاطمة بنت أسد جاءت إلى أبي طالب تبشره بمولد النبي (صلى الله عليه وآله)، فقال لها أبو طالب: اصبري لي سبتاً (السبت ثلاثون سنة) آتيك بمثله إلا النبوة [١].

وعن الصادق (عليه السلام) أنه قال: لما ولد رسول الله (صلى الله عليه وآله) فتح لآمنة بياض فارس وقصور الشام، فجاءت فاطمة بنت أسد أم أمير المؤمنين إلى أبي طالب

(١) الكافي كتاب الحجة باب مولد أمير المؤمنين صلوات الله عليه: ٤٥٢/١.

ضاحكة مستبشرة، فأعلمته ما قالت آمنة، فقال لها أبو طالب: وتتعجبين من هذا، إنك تحبلين وتلدين بوصيه ووزيره[١].

وهذا قبل ذلك بثلاثين عاماً، فهذه العلوم كانت موجودة قبل النبوة وكان الأحبار والرهبان يتداولون هذه الأخبار.

وكانت كثيرة العتق للعبيد حتى قبل البعثة فقد روي عن حكيم بن حزام قال: إنها أعتقت أربعين محرراً في الجاهلية، فسألت النبي (صلى الله عليه وآله): هل لي فيهم أجر؟ - وهذا السؤال دليل على أن هذه المرأة تريد أن تكرس كل حياتها وكل أعمالها لطاعة الله – فقال (صلى الله عليه وآله): أسلمت على ما سبق لك من الخير[٢]. وهذا شاهد آخر

(١) المصدر السابق: ٤٥٤/١.

(٢) المعجم الكبير للطبراني: ١٩٠/٣.

على توحيدها وإيمانها قبل البعثة، لأن العتق لا يثاب عليه الشخص إلا إذا نواه قربة إلى الله تعالى، فاستحقاقها للأجر على عملها السابق يعني صدوره قربة إلى الله تعالى، فكانت هي وآمنة بنت وهب وأبو طالب وعبد الله والد رسول الله (صلى الله عليه وآله) وجده عبد المطلب على دين إبراهيم (عليه السلام) وملته الحنيفية، لا ما يقوله الآخرون من أنهم كانوا مشركين وهو إسفاف بمقام النبي وآبائه.

روي أنه نزل جبرئيل على رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقال: يا محمد، ربك يقرئك السلام ويقول لك: إني حرمت النار على صلبٍ أنزلك، وعلى بطن حملك وعلى حجر كفلك[1]، فأما الصلب الذي أنزلك فصلب عبد الله بن

(١) الكافي:١/٤٤٦.

عبد المطلب، وأما البطن الذي حملك فآمنة بنت وهب، وأما الحجر الذي كفلك فعبد مناف أبن عبد المطلب وفاطمة بنت أسد.

بعد هذا كله لا نحتاج أن ندافع عن إيمان أبي طالب، أو أن نثبت أن فاطمة بنت أسد هي من السابقين للإسلام، وأنها الشخص الحادي عشر من السابقين للإسلام - كما يقول في مقاتل الطالبيين - فإنهم قد مُلئوا إيماناً قبل البعثة، فماذا تتوقع أن يكون موقفهم بعد أن صدع رسول الله (صلى الله عليه وآله) بالإسلام وأعلن دعوته المباركة؟

ومن حسنات فاطمة بنت أسد أنها دليل دامغ على إيمان أبي طالب، يلقي الحجة البالغة على كل من شكك في ذلك، وبه احتج أمير المؤمنين (عليه السلام) حين سئل عن إسلام أبي طالب فقال (عليه السلام): وا عجباً، إن

الله تعالى نهى رسول الله (صلى الله عليه وآله) أن يقرّ مسلمة على نكاح كافر، وقد كانت فاطمة بنت أسد من السابقات إلى الإسلام، ولم تزل تحت أبي طالب حتى مات[١] – فلو كان أبو طالب مشركاً لفصل بينه وبين زوجته المؤمنة، فإبقاؤها عنده دليل إيمانه – ولم يكن رسول الله (صلى الله عليه وآله) ممن يجامل، فقد فرّق بين زينب (ابنته أو ربيبته) وزوجها أبي العاص بن الربيع لأنه بقي على شركه.

أنجبت فاطمة للإسلام ولله تبارك وتعالى ذرية طيبة نشرت كلمة الله تعالى وروت شجرة الإسلام بدمائهم، وأولهم ولدها المبارك أمير المؤمنين (عليه السلام)، وثانيهم أخوه جعفر الطيار شهيد مؤتة، واستشهد ولداه محمد

(١) بحار الأنوار:١٥٧/٣٥.

وعون في معارك الإسلام الخالدة التي أعقبت وفاة رسول الله (صلى الله عليه وآله)، وولدها الآخر وهو عقيل والد سفير الحسين (عليه السلام) مسلم بن عقيل.

وقد ارتبط اسم فاطمة بنت أسد بمعركة الطف، فإن جميع شهداء بني هاشم في معركة الطف وهم سبعة عشر كلهم ذريتها، ذكر ذلك الإمام الباقر (عليه السلام)، فقد ذكر عند الإمام الباقر (عليه السلام) قتل الحسين (عليه السلام)، فقال: قتلوا سبعة عشر إنساناً كلهم ارتكض من بطن فاطمة بنت أسد أمّ علي (عليه السلام)، وإلى هذا أشار الشاعر، قال:

تسعة منهمُ لصلب عليٍّ ثمـــان لجعفرٍ وعقيل

اهتمت برعاية رسول الله (صلى الله عليه وآله) منذ أن كفله زوجها أبو طالب بعد وفاة جده عبد المطلب وهو طفل صغير، وكانت تفضله على أولادها، شهد لها بذلك رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقد روي – في كنز العمال – عن

رسول الله (صلى الله عليه وآله) أنها كانت أحسن خلق الله صنيعاً إلي بعد أبي طالب، وأنه قال: رحمك الله يا أمي، كنت أمي بعد أمي، تجوعين وتشبعينني وتعرين وتكسيني، وتمنعين نفسك وتطيبيني، تريدين بذلك وجه الله والدار الآخرة. ثم قال (صلى الله عليه وآله): اللهم أغفر لأمي فاطمة بنت أسد ولقنها حجتها ووسع مدخلها بحق نبيك والأنبياء الذين من قبله يا أرحم الراحمين.

وفي كتاب الفضائل لأبن شاذان عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال: فلقد كانت تُجوّع أولادها وتشبعني ،وتُشعث أولادها وتدهنني ، والله لقد كان في دار أبي طالب نخلة فكانت تسابق إليها من الغداة لتلتقط، ثمّ تجنيه ـ رضي الله عنها ـ فإذا خرجوا بنو عمّي تناولني

ذلك)[1]

وما كانت رعايتها له (صلى الله عليه وآله) عن عاطفة، فإن المفروض أن تكون عاطفتها تجاه أولادها أقوى، بل كانت هذه الرعاية عن وعي وإدراك للمقام الرفيع الذي تبوءه هذا الرجل (صلى الله عليه وآله) والمسؤولية العظيمة الملقاة على عاتقه.

ولما هاجر رسول الله (صلى الله عليه وآله) إلى المدينة وأمر علياً (عليه السلام) أن يلحقه بالفواطم (فاطمة بنت أسد بن هاشم وفاطمة الزهراء وفاطمة بنت حمزة بن عبد المطلب وفاطمة بنت الزبير بن عبد المطلب) فخرج بهن أمير المؤمنين (عليه السلام) راجلاً، واعترضه عدد من فرسان قريش، فقتل أشجعهم (يسمى جناح) وتفرقوا عنه وأمه

(١)بحار الانوار : ١٨٠/٣٥

تنظر إليه وهي فخورة به، حتى وصلوا إلى المدينة بعد ذلك السفر المضني، وكانت امرأة قد تجاوزت السبعين من العمر –لأن عمر طالب أكبر أبناءها كعمر النبي (صلى الله عليه وآله) حين الهجرة، وهو ٥٣ عاماً، فلا أقل يكون عمرها ٧٠ سنة –ولم يقعدها عن أداء دورها كبر السن وقد تجاوزت السبعين وطول المسافة- حوالي أكثر من عشرة أيام - وصعوبة السفر والأخطار التي كانت تحيط بهذه السفرة، لأن قريشا بعد أن أفلت منها رسول الله (صلى الله عليه وآله) لم تكن ترضى بأن تلحقه عائلته وفي وضح النهار وعلى مرأى منهم – لذلك تصدوا للإمام علي (عليه السلام).

كانت امرأة ذات أذن واعية –كما يصف القرآن ﴿وَتَعِيَهَا أُذُنٌ وَاعِيَةٌ﴾ (الحاقة:١٢) – تتلقى العلم مباشرة من رسول الله (صلى الله عليه وآله)، فقد روي أنها (رضوان الله تعالى

عليها) قالت: (سمعت رسول الله وهو يقول: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة كما ولدوا فقالت: واسوأتاه، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): فإني أسأل الله أن يبعثك كاسية. وسمعته يذكر ضغطة القبر، فقالت: واضعفاه، فقال لها رسول الله (صلى الله عليه وآله): فإني أسأل الله أن يكفيك ذلك)[١].

وفي كتاب تنبيه الغافلين عن فضائل الطالبيين عن الزبير بن العوام قال: (سمعت النبي (صلى الله عليه وآله) يدعو النساء إلى البيعة حين أنزلت هذه الآية ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ..﴾(الممتحنة:١٢) وكانت فاطمة بنت أسد أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله))[٢].

---

(١) ميزان الحكمة: ٤٥٣/٣.

(٢) تنبيه الغافلين: شرف الإسلام بن سعيد المحسن بن كرامة (ت ٤٩٤)، ص ١٧٢.

ومن هذه السيرة المباركة تستطيع المرأة المسلمة أن تأخذ عدة دروس منها:

أولاً: طلب العلم والمعرفة والسعي نحو الكمال، فترى فاطمة تأخذ العلم من رسول الله (صلى الله عليه وآله) مباشرة.

ثانياً: تلبية نداء الدين وداعي الله – ﴿أَجِيبُوا دَاعِيَ اللَّهِ﴾ (الأحقاف:٣١) – مهما كان الثمن غالياً – وذكرنا شاهداً على ذلك هجرتها.

ثالثاً: عدم الانسياق نحو العواطف وجعلها معيار التفضيل في العلاقات، بل توزن الأمور بالتقوى، فنراها تفضل محمداً على أولادها، لأنه بالموازين الصحيحة أكرم وأجلّ منهم، فتقدمه (صلى الله عليه وآله) عليهم، بل تقدمه على أنفسها كما شهد لها رسول الله نفسه فيقول تجوع وتطعمني وتعرى وتكسيني... .

رابعاً: العناية بالأسرة وتوثيق روابطها وبناءها بشكل

سليم، وهذا واضح من علاقتها بزوجها أبي طالب وأولادها النجباء.

خامساً: عدم الانصياع وراء العرف والأتكيت السائد، فرغم أن النساء في مجتمع قريش كان لهن أعراف وتقاليد معروفة، إلا أن فاطمة لم تتابعهم فيه إلا بمقدار ما ينسجم مع عقيدتها والسلوك الذي يرسمها لها الشرع المقدس سواء قبل الإسلام وبعده.

وقد حث الأئمة (عليهم السلام) على الاستشفاع بها؛ فعن داود الرقي قال: دخلت على أبي عبد الله (عليه السلام) ولي على رجل مال قد خفت فوته، فشكوت إليه ذلك، فقال لي: إذا صرت بمكة فطف عن عبد المطلب وصلِّ ركعتين عنه، وطف عن أبي طالب طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن عبد الله – والد رسول الله – طوافاً وصلّ عنه ركعتين، وطف عن آمنة طوافاً وصلِّ عنها

ركعتين، وطف عن فاطمة بنت أسد طوافاً وصلِّ عنها ركعتين، ثم ادعُ أن يرد عليك مالك. قال: ففعلت ذلك، ثم خرجت من باب الصفا، وإذا غريمي واقف بالباب يقول: يا داود حبستني، تعال اقبض مالك[1].

وقد تضمن حديث وفاتها الكثير من فضلها وعظيم منزلتها عند الله تعالى وعند رسول الله (صلى الله عليه وآله)؛ فعن عبد الله بن عباس قال: أقبل علي بن أبي طالب ذات يوم إلى النبي (صلى الله عليه وآله) باكياً وهو يقول: إنا لله وإنا إليه راجعون، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله): يا علي مَه. فقال: يا رسول الله، ماتت أمي فاطمة بنت أسد، قال: فبكى النبي (صلى الله عليه وآله) ثم قال: رحم الله أمك يا علي، أما إنها إن كانت لك أماً فقد كانت لي أماً، خذ عمامتي هذه، وخذ ثوبي

(١) بحار الأنوار:١١٢/٣٥.

هذين فكفنها فيهما، ولا تخرجها حتى أجيء فألي أمرها، قال: فأقبل النبي (صلى الله عليه وآله) بعد ساعة، وأخرجت فاطمة أم علي، فصلى عليها النبي (صلى الله عليه وآله) صلاة لم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، ثم كبر عليها أربعين تكبيرة ثم دخل إلى القبر فتمدد فيه فلم يسمع له أنين ولا حركة، ثم قال: يا علي أدخل، يا حسن أدخل، فدخلا القبر؟ فلما فرغ مما احتاج إليه من علي، قال: يا علي أخرج، يا حسن أخرج، فخرجا؟ ثم زحف النبي (صلى الله عليه وآله) حتى صار عند رأسها ولقنها حجتها تفصيلاً، ثم قال: اللهم ثبت فاطمة بالقول الثابت ثم خرج من قبرها.. فقام إليه عمار بن ياسر فقال: فداك أبي وأمي يا رسول الله، لقد صليت عليها صلاة لم تصلِّ على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، فقال: يا أبا اليقظان، وأهل لذلك هي، ولقد كان لها من أبي طالب ولد

كثير، ولقد كان خيرهم كثيراً، ثم قال: فكانت تشبعني وتجيعهم (أي أولادها) وتكسوني وتعريهم وتدهنني وتشعثهم. فقال: - أي عمار - فلمَ كبّرت عليها أربعين تكبيرة يا رسول الله، قال نعم يا عمار، التفت عن يميني فنظرت إلى أربعين صفاً من الملائكة، فكبرت لكل صفٍّ تكبيرة، قال: فتمددت في القبر ولم تسمع لك أنين ولا حركة؟ قال: إن الناس يحشرون يوم القيامة عراة، فلم أزل أطلب إلى ربي عزّ وجلّ أن يبعثها ستيرة، ثم وصف (صلى الله عليه وآله) ما أُعدّ لها من المقام الكريم عند الله تبارك وتعالى، فقال (صلى الله عليه وآله): (والذي نفس محمد بيده ما خرجت من قبرها حتى رأيت مصباحين من نور عند رأسها ومصباحين من نور عند يديها

ومصباحين من نور عند رجليها وملكيها الموكلين بقبرها يستغفرون لها إلى أن تقوم الساعة)[١].

وفي علل الشرايع أن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفن فاطمة بنت اسد بن هاشم وكانت مهاجرة مبايعة وكفنها في قميصه، ونزل في قبرها وتمرغ في لحدها، فقيل له في ذلك – أي لماذا هذا – فقال (صلى الله عليه وآله): إن أبي هلك وأنا صغير فأخذتني هي وزوجها (أبو طالب) فكانا يوسعان علي ويؤثراني على أولادهما، فأحببت أن يوسع الله عليها قبرها[٢].

وفيه ايضا: إنّ فاطمة بنت أسد بن هاشم أوصت إلى رسول الله (صلى الله عليه وآله) فقبل وصيتها ، فلما ماتت نزع رسول

---

(١) بحار الأنوار:٣٥/٧٠.

(٢) جامع أحاديث الشيعة كتاب الطهارة، أبواب تحنيط الميت وتكفينه، باب١٧،ح٤-٦ عن علل الشرائع: ٤٦٩/باب ٢٢١ ح٣١

الله (ص) قميصه ، وقال : كفّنوها فيه ، واضطجَعَ في لحدها .

فقال : أما قميصي فأمانٌ لها يوم القيامة ، وأما اضطجاعي في قبرها فليوسّع الله عليها)[1].

أما سنة وفاتها فلم يسجلها التاريخ، وترد أمامنا عدة احتمالات:

الأول: أنها توفيت قبل معركة بدر في السنة الثانية للهجرة، ويؤيده أمور:

١-أنها امرأة كبيرة تجاوزت السبعين وواجهت مشاق كثيرة في هجرتها، فلا يحتمل بقاؤها طويلاً.

٢-أنه قد أسر ولدها عقيل في معركة بدر وفداه عمه العباس بن عبد المطلب، ولو كانت أمه حية لكان

(١)نفس المصدر ح٣٢

المناسب لأخلاق رسول الله (صلى الله عليه وآله) إطلاق سراحه إكراماً لأمه كما أطلق ألد أعدائه النضر بن الحارث واستبقاه لصبيته.

٣-لم يرد ذكرها في حديث زواج علي وفاطمة الذي وقع غرة ذي الحجة من السنة الثانية للهجرة، وهو مشهد لا يفوتها.

الثاني: أنها توفيت في نهاية السنة الثالثة أو بداية الرابعة، بدليل ورود اسم حفيدها الحسن (عليه السلام) في خبر وفاتها، وقد ولد في النصف من رمضان في السنة الثالثة، ولم يرد اسم الإمام الحسين (عليه السلام) المولود في الثالث من شعبان من السنة الرابعة، ويستبعد أن يكون حياً ولا يحضر وفاة جدته.

الثالث: أنها توفيت بعد السنة السادسة للهجرة، لما ذكر من أنها أول امرأة بايعت رسول الله (صلى الله عليه وآله) بعد

نزول آية الممتحنة المتقدمة التي يشهد سياقها أنها نزلت بعد صلح الحديبية بين السنة السادسة والثامنة من الهجرة. وقد ورد في رواية علل الشرايع في حديث وفاتها (إن رسول الله (صلى الله عليه وآله) دفن فاطمة بنت أسد بن هاشم (عليها السلام)، وكانت مهاجرة مبايعة)[1]، فوصفها بالمبايعة يعني البيعة المذكورة، وليس طبعاً بيعة العقبة الأولى والثانية قبل الهجرة، فإنها خاصة بالأنصار.

والذي أميل إليه بحسب الوجدان هو الأول، مؤيداً بالظروف الموضوعية التي ذكرناها آنفا، أما الرواية التي يستند إليها القولان الثاني والثالث فتحمل على وهم الراوي، إضافة إلى ضعف السند. ويبعد القول الثالث خاصة ما ورد في حديث وفاتها أن النبي (صلى الله عليه وآله)

(١) نفس المصدر السابق.

كبر عليها أربعين تكبيرة ولم يصل على أحد قبلها مثل تلك الصلاة، فلابد أن يكون ذلك قبل معركة أحد؛ فإن النبي (صلى الله عليه وآله) صلى على حمزة الذي استشهد فيها بسبعين تكبيرة[١].

أسأل الله تعالى أن نكون قد أدّينا بعض الحق لهذه المرأة العظيمة ولولدها المبارك أمير المؤمنين، ونسأل الله تعالى أن يحشرنا معهم، والحمد لله رب العالمين وصلى الله على محمد وآله الطيبين الطاهرين.

(١) وسائل الشيعة كتاب الطهارة أبواب الصلاة والجنازة باب ٦/ ج٣.

الفهرس

جعفر الطيار عليه السلام

نشأته الطاهرة ٥

سبقه الى الاسلام ٧

هجرته إلى الحبشة وإسلام ملكها على يديه ١١

هل حضر جعفر (عليه السلام) زواج أخيه علي (عليه السلام) ١٩

عودته إلى المدينة وسرور النبي البالغ به ٢٨

صلاة جعفر: هدية أهل الكمالات المعنوية ٣٢

قيادته الجيش إلى معركة مؤتة وشهادته: ٣٦

حزن النبي (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته وأصحابه عليه ٤٧

فضله وعظيم منزلته ٥٥

زوجه وأولاده وولاؤهم لأهل البيت (عليهم السلام) ٧٠

نصرة آل جعفر للإمام الحسين (عليه السلام) ٧٩

المرقد الطاهر للشهيد جعفر الطيار (عليه السلام) ٨٤

فاطمة بنت أسد عليها السلام ٨٧

الفهرس ١٢٣